الدراسات

موسوعات للتاريخ العربي الإسلامي

فوزي خليل الخطيب
مكتبة جامعة اليرموك - إربد - الأردن

تقديم :

لعلّ جسراً ورقياً ما زال قائماً ليصل مكتبيي القرن العشرين بوراقي القرن العاشر ؛ ولعلّ صدى شكوى الورّاق الشاعر ، يلامس سمع المكتبي الشاعر بعد نحو ألف عام ، وإذا كان ورّاق الأمس قد شكا كساد سوق الوراقة وإحجام الناس عن سلعته ، فإن مكتبيّ اليوم يشكو كساد سوق المعرفة ، وعزوف الشّيخ والتلميذ عن سلعته .

وصف ابن صارة الشّنتريني ، أبو محمد عبد الله بن محمد البكري الأندلسي ، الوراقة قائلاً[1] :

أمّا الوراقة فهي أنكد حرفة[2] أوراقها وثمارها الحرمانُ
شبّهتُ صاحبَها بصاحبِ إبرةٍ تكسو العراةَ وجسمُها عُريانُ

وأصف عمل المكتبي من خلال قسم المراجع فأقول :

أمّا المراجعُ فهي نبعُ معارفٍ إنْ كانَ ثمّةَ من يعي ويفكّرُ
لكنّ هذا الجيلَ يبدو ضائقاً بالبحث ذرعاً ، دائماً يتذمّرُ
ومن الجهابذ زمرةٌ لو مرّةً حاورتَها سترى الجهالةَ تقطرُ
جهلُ الشّباب شِفاؤه قد يُرتجى أمّا الشّيوخُ فجهلُهُم لا يُغفرُ

ولن أطيل الحديث عن أسباب الشكوى ، ومناسبة هذه الأبيات الأربعة ، وإنّما أكتفي بذكر الوقائع التالية :

١ — جماعة من التلاميذ تبحث في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٢٨٤ — ٣٥٦ هـ) ، عن الشاعرة الفلسطينية المعاصرة فدوى طوقان ؟!

٢ — دارسان يبحثان في تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ — ٣١٠ هـ) عن معركة ميسلون (١٣٣٨ هـ) .

٣ — جهبذ طلب من تلاميذه ترجمة حياة تقي الدّين أحمد بن علي المقريزي (٧٦٦ — ٨٤٥ هـ) ، وأرشدهم إلى أنّ أوفى مرجع يبحثون فيه هو وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٠٨ — ٦٨١ هـ) .

٤ — دارسة تبحث في معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥٧٤ — ٦٢٦ هـ) ، عن الشاعر أحمد شوقي (١٢٨٥ — ١٣٥١ هـ) .

٥ — وسألت أحد الجهابذ — سؤالاً استنكارياً — عن الدّولتين اللتين عناهما المؤرخ أبو شامة (٥٩٩ — ٦٦٥ هـ) في كتابه : «الرّوضتين في أخبار الدّولتين» ، فأجاب : الدّولة الفاطمية في المغرب ، والدّولة الفاطمية في مصر !؟

هذه بعض الحقائق التي تكاد تتكرر كل يوم ، وهي غيض من فيض ، ولن أعلق عليها أو أقف عندها ، ولكنّها — على مرارتها — أحد العوامل التي دفعتني لكتابة هذا المقال ، وذلك أضعف الإيمان .

الهدف والمجال :

لست عالماً بالتاريخ وفلسفته ، ولست ضليعاً بمناهج البحث فيه ، ولكنني أقصد إلى التعريف بأهم موسوعات التاريخ الإسلامي العربي التي شملت كل أجزاء الدولة الإسلامية ، وأقدم لها وصفاً عاماً موجزاً يوضح طبيعتها ، ومجالها الزمني والنّوعي ، وطريقة تنظيم المعلومات فيها ، وأهميتها في الدّراسة والبحث .

وأعني بالموسوعات التاريخية ذلك النّوع من الكتب المرجعية الشاملة ، التي عالجت موضوع التاريخ كونه سجلاً للأحداث والدّول والحكام ، ووصفاً للأحوال السياسية والعسكرية ، وبياناً للعلاقات بين الدّول وحياة المجتمعات الاقتصادية والفكرية والاجتماعية . وعليه ، فيخرج عن مجال هذا المقال كتب المغازي والفتوح ، وكتب التراجم والطبقات ، وكتب رجال الحديث وأحوال رواته ، وكتب الأنساب والقبائل ، وكتب الجغرافيا التاريخية ، وما دوّنه الرّحالة في كتبهم ، كما تخرج كتب الحضارة والآثار وتاريخ الأدب .

ويقتصر هذا المقال على الموسوعات التي ظهرت باللغة العربية ، ولذا يخرج منها كتب المستشرقين مثل دائرة المعارف الإسلامية ، التي يستند إليها جهابذ التاريخ المستغربين كثيراً ، وهي لم تضف

شيئاً ، وتنوه بما فيها من أخطاء تنتظر من يصححها .

النشأة والتطور :

نشأ التاريخ العربي الإسلامي نشأة طبيعية استجابة لحاجات المجتمع الإسلامي ، ولم يهتم مؤرخو العرب بما كتبه اليونان والرّومان ؛ ولذا لم تترجم كتبهم إلى اللغة العربية ، فجاء التاريخ العربي الإسلامي على غير مثال سابق[٣] .

وكان التاريخ العربي في بداياته مختلطاً بتفسير القرآن الكريم ، وبعلم رواية الحديث ، ولذا نجد أن أغلب المؤرخين كانوا في الأصل مفسّرين ومحدّثين . وساهمت عوامل عديدة في الاهتمام بالتاريخ ودفع حركته ، منها النظم الإدارية والمالية التي نشأت نتيجة الفتوح واتساع رقعة الدّولة ، فالخراج مثلاً يختلف من بلد فتح عنوة عنه في آخر فتح سلماً ، واستلزم الأمر معرفة المغازي والفتوح ، كما استلزم نظام العطاء معرفة الأنساب والسابقين إلى الإسلام والدّفاع عنه ونشر دعوته .

ومرَّ التاريخ كغيره من العلوم التي عرفتها الحضارة الإسلامية بمراحل مختلفة ، ثم وصل مرحلة النضج الحقيقي ، وقد مرّ التاريخ بمراحل ثلاثة متداخلة ، وهي :

المرحلة الأولى : سادت خلال القرن الأول الهجري وبداية الثاني ، ولم تتجاوز كتب التاريخ فيها المسامرات والنوادر والأخبار ، ومن أمثلتها : «مثالب العرب» المنسوب إلى زياد بن أبيه (١-٥٣ هـ) ، و «التظاهر والتناصر» لدغفل بن حنظلة الشيباني (توفي ٦٥ هـ) ، و «الملوك وأخبار الماضين»[٤] لعبيد بن شرية الجرهمي (توفي ٦٧ هـ) ورواه لمعاوية بن أبي سفيان ، و «ذكر الملوك المتوجة من حمير» لوهب بن منبه الصنعاني (٣٤-١١٤ هـ) .

المرحلة الثانية : سادت في القرن الثاني الهجري وبداية الثالث ، وهي أقرب من كتب المرحلة الأولى إلى التاريخ الحقيقي ، لأنها اهتمت بالتحقق من صدق الرّوايات ، ومن أمثلتها ما دوّنه أبان بن عثمان بن عفان (توفي ١٠٥ هـ) من أخبار السيرة والمغازي سنة ٨٢ هـ ، وما دوّنه عروة بن الزبير (٢٢-٩٣ هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة ، وأخذ عنه ابن هشام في سيرته ، وابن سعد في طبقاته ، والطبري والواقدي وابن كثير في تواريخهم[٥] .

ومن المعروف في كتابة السير والمغازي محمد بن شهاب الزهري (توفي ١٢٤ هـ) وأبان بن عثمان اللؤلؤي المعروف بالأحمر البجلي (توفي ٢٠٠ هـ) ، وأخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى (توفي ٢٠٩ هـ) ، ومحمد بن سلام الجمحي (١٥٧ — ٢٢٤ هـ) ، ومن كتب أبان «المغازي» في أخبار المبتدأ والمبعث وغزوات الرسول ﷺ والسقيفة والرّدة .

ولعل أشهر كتاب السير ابن إسحاق (توفي ١٥١ هـ) ، الذي اختصر كتابه ابن هشام (توفي ٢١٣ هـ) في سيرته المعروفة باسمه .

ومن أشهر مؤرخي هذه المرحلة علي بن محمد المدائني (توفي ٢٢٥ هـ) ، وله كتب في المغازي ، والسيرة النبوية ، وأخبار النساء ، وتاريخ الخلفاء ، وتاريخ الوقائع والفتوح ، والجاهليين ، والشعراء والبلدان .

ومن المؤرخين المشهورين في هذه المرحلة محمد بن عمر الواقدي (توفي ٢٠٧ هـ) وله كتاب المغازي ، وأخبار مكة ، وفتح العجم ، وفتح إفريقية ، وفتح مصر والإسكندرية ، وفتوح العراق ، والطبقات ، وتاريخ الفقهاء .

ومما يؤسف له أن كتب مؤرخي المرحلة الثانية قد فقد معظمها ، ولكن المؤرخين اللاحقين نقلوا ما تضمنته هذه الكتب من روايات وأخبار في تواريخهم . وتعد كتب المرحلة الثانية الأساس الذي بنى عليه مؤلفو الموسوعات التاريخية مثل الطبري واليعقوبي والمسعودي .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة النضج الحقيقي والتأليف الموسوعي ، وتبدأ في القرن الثالث الهجري لتسود عبر القرون حتى يومنا هذا ، وتجاوز المؤرخون في هذه المرحلة المسامرات والنوادر والمغازي والسّير إلى التأليف في التاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي ، أي التاريخ بمعناه الحقيقي .

تقسيم الموسوعات .

يمكن تقسيم موسوعات التاريخ الإسلامي بطرق متعدّدة ، وفقاً للأساس الذي يبنى عليه التقسيم ؛ فنقسم الموسوعات على أساس تغطيتها الجغرافية إلى مجموعتين :

الأولى : الموسوعات التي تتناول جميع مناطق وأقاليم الدّولة الإسلامية في المشرق والمغرب ؛ ومن الأمثلة عليها تاريخ اليعقوبي ، ومروج الذهب للمسعودي ، وتاريخ الطبري .

الثانية : الموسوعات التي تختص بمنطقة جغرافية محدّدة ، أو تتناول دولة معينة ؛ ومن الأمثلة عليها : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للسان الدين بن الخطيب ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي .

والثالثة : الموسوعات التي تختص بمدينة واحدة من مدن الدّولة الإسلامية ؛ ومن الأمثلة عليها الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب ، وتاريخ دمشق لابن عساكر .

ويقتصر هذا المقال على المجموعة الأولى من الموسوعات الشاملة التي تغطي جميع أرجاء الدّولة الإسلامية ، فالمقام لا يتسع ليتناول المجموعتين الثانية والثالثة .

ويمكن تقسيم الموسوعات التي يشملها هذا المقال على أساس طريقة الترتيب ومنهج التأليف إلى مجموعتين :

الأولى : الموسوعات التي ترتب المعلومات فيها على السنين ، أو منهج التأريخ الحولي ، وهو جمع أحداث السنة الواحدة ، ووفيات الأعيان فيها ، واستخدام أداة ربط لجزئياتها بلفظ «وفيها» وبعد انتهاء السنة والانتقال إلى السنة التالية تستخدم عبارة «ثم دخلت سنة ...» ؛ وعيب هذ الطريقة أنها تمزق جسم الحادثة الواحدة وتشتتها على عدة سنين[٦] ، وتؤدي إلى اختلال السياق وقطع أوصاله . ومن أمثلة هذه الموسوعات تاريخ الطبري ، والمنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي .

والثانية : الموسوعات التي رتبت فيها المعلومات على أساس موضوعي أي منهج التأريخ بالدّول والحكام والأحداث ، ومن أمثلتها تاريخ المسعودي ، وتاريخ ابن خلدون .

الدراسة الفردية :

وهي عرض سريع لكل موسوعة بصورة منفردة ، ووصفها وصفاً عاماً يبين أجزاءها ومحتويات كل جزء ، وطريقة ترتيب المعلومات فيها ، ومجالها الزمني والنوعي ، وقيمتها العلمية في الدراسة والبحث . ومن الجدير بالذكر أن الدّراسة المادّية للموسوعة تمثل إحدى الطبعات التي ظهرت ، وليس بالضرورة أن تنطبق على جميع الطبعات ، التي تتفاوت في عدد المجلدات ، ومحتويات كل مجلد .

١ ـــ تاريخ اليعقوبي[٧] :

ابتعد اليعقوبي (توفي ٢٩٢ هـ) عن منهج التأريخ بالسنين على الرغم من معاصرته لإمام المؤرخين الطبري . فاتبع منهج التقسيم بالموضوعات التاريخية ، متخذاً من الشخصيات التاريخية أحياناً محوراً لحديثه ، وخاصة في العصور الإسلامية . ويتضمن الكتاب ثلاثة أجزاء :

الأول : يبدأ بآدم وبنيه ، ثم الأنبياء والرسل ، ثم الأمم القديمة وحكامها وعلومها مثل : الهند والصين واليونان والرّوم والفرس ومصر القديمة والحبشة . ويفصّل قليلاً في حديثه عن العرب قبل الإسلام ودياناتهم وحكامهم وعاداتهم وأشعارهم وأيامهم وأسواقهم .

والثاني : يبدأ بمقدّمة قصيرة عن العلم والعقل ، ثم يذكر مصادر تاريخه ، وبعد ذلك يتحدث حديثاً مفصلاً عن السيرة النبوية والدعوة الإسلامية والمغازي ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين والفتوح ، ثم الدولة الأموية وخلفائها إلى أن ينتهي بخلافة معاوية بن يزيد .

والثالث : يبدأ بخلافة مروان بن الحكم (توفي ٦٥ هـ) ، ثم الخلفاء الأمويين بعده حتى آخرهم مروان بن محمد الجعدي (توفي ١٣٢ هـ) .

وبعد ذلك بداية الدولة العباسيّة وخلفاؤها وينتهي الكتاب عند خلافة المعتمد سنة ٢٧٩ هـ .

ويمثل تاريخ اليعقوبي نهجاً مبدعاً في التاريخ بالموضوعات ، وسار على نهجه المؤرخ أبو حنيفة الدينوري (توفي ٢٨٢ هـ) في كتابه المعروف «الأخبار الطّوال» ، ولكنه كان أكثر من اليعقوبي إيجازاً .

وبنى المسعودي (توفي ٣٤٦ هـ) تاريخه على نهج اليعقوبي ، ولكن المسعودي طوَّر هذا المنهج ، وأضاف كثيراً من تجاربه ومشاهداته وثقافته ، فمزج التاريخ بالجغرافيا مزجاً واعياً ، فاتحاً بذلك آفاقاً جديدة للدّراسات الاجتماعية والثقافية .

٢ ـــ تاريخ الطبري[٨] :

وهو تاريخ الرسل والملوك ، ويعرف أيضاً بتاريخ الرسل والملوك وكان الطبري إمام المؤرخين ، كما كان أيضاً إمام المفسّرين ، وكان لعلمه الغزير في الحديث تأثير على منهجه في التأريخ ، فتتبع في رواياته التاريخية سلسلة الأسانيد .

ويشغل تاريخ الطبري أحد عشر مجلداً ، وهي كما يلي :

الأول : يبدأ بمقدمة من ست صفحات تبين منهج الكتاب ومحتوياته ، تليها مقالة طويلة عن الزمان والبدء والقلم في ثمانين صفحة ، وبعدها قصة آدم في تسعين صفحة ، ثم الأنبياء بعده والأمم ، ويختم الجزء الأول بقبائل العرب في الحيرة والأنبار .

والثاني : يبدأ بقصة أصحاب الكهف ، ثم حديث مفصل عن الفرس ودولهم وملوكهم في نحو مائة صفحة ، ثم مولد الرسول ﷺ ونسبه ونشأته ودعوته وسيرته وغزواته حتى سنة ٦ هـ .

والثالث : يبدأ بسنة ٧ هـ ، وغزوة خيبر ، وبقية الغزوات ، وذكر وفاة الرسول ، ثم خلافة أبي بكر ، وينتهي سنة ١٥ هـ .

والرابع : يبدأ بسنة ١٦ هـ وفتح المدائن ، وينتهي بسنة ٣٥ ومعركة صفين .

والخامس : يبدأ بسنة ٣٧ هـ ، وحروب الأمويين مع آل البيت ، وخلافة بني أمية ، وينتهي بسنة ٦٥ في عهد عبد الملك بن مروان .

والسادس : من سنة ٦٦ هـ وبقية الخلفاء الأمويين ، وينتهي بسنة ١٠٣ بارتحال أهل السّغد إلى فرغانه .

والسابع : من سنة ١٠٤ هـ ويتحدث عن نهاية الحكم الأموي ، وقيام الدولة العباسية ، وينتهي سنة ١٤٦ هـ وبناء بغداد .

والثامن : من سنة ١٤٧ هـ وبيعة المهدي العباسي وينتهي بخلافة المعتصم سنة ٢١٨ هـ .

والتاسع : من سنة ٢١٩ هـ وثورة الزّط ، وينتهي سنة ٢٧٠ هـ

ومقتل صاحب الزنج .

والعاشر : من سنة ٢٧١ هـ وخلافة المعتمد ، وينتهي سنة ٣٠٢ هـ وخلافة المقتدر . وأغلبه كشاف تحليلي بالأعلام والبلدان والأمم والقبائل والأشعار والأرجاز والأمثال .

والحادي عشر : ذيول تاريخ الطبري ، وهو المختصر ، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (توفي ٣٦٩ هـ) ، وتكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمذاني (توفي ٥٢١ هـ) ، والمنتخب من ذيل المذيّل للطبري نفسه .

ويؤخذ على الطبري أنه يعتمد على الروايات دون أن يكون له رأي في الأحداث والشخصيات ، وتتفاوت أحداث كل سنة عن الأخرى ، فسنة بيعة المقتدر ٢٩٥ هـ تشغل ٣٠٠ صفحة ، بينما لا تزيد أحداث سنة ٢٩٧ هـ عن نصف الصفحة .

ويكثر الطبري إيراد الخطب والأشعار والرسائل والمناظرات في سنوات القرن الأول الهجري ، ولكنها تقل في القرن الثاني وتكاد تتلاشى في عصر المؤلف ؛ فتاريخ الطبري يضم مجموعة من التراث العربي في اللغة والأدب .

ويؤخذ على الطبري اهتمامه بالمشرق العربي الإسلامي أكثر من المغرب والأندلس ، وظلّت هذه الثغرة حتى بعد أن وصل عريب تاريخ الطبري ؛ وقد اهتم الطبري بالأحداث السياسية عند الحكام دون دراسة المجتمعات الإسلامية ونظمها الإدارية والاقتصادية ، وحالاتها الاجتماعية والفكرية التي تكشف خصائص الأمة .

ومهما كانت المآخذ ، فإن الطبري يظل عمدة المؤرخين ، وتمتاز رواياته بأنها محقّقة ومسندة ؛ والطبري مؤرخ محايد يتّصف بالأمانة العلمية والموضوعية ؛ وكتابه مرجع مهم لتاريخ الفرس في عصورهم الغامضة والمتأخرة . وترجم جزءاً منه محمد بن عبد الله السلعمي إلى الفارسية ؛ كما ترجم المستشرق «نولدكه» الجزء الخاص بالساسانيين إلى الألمانية .

٣ ــ تاريخ المسعودي[٩] :

وهو : مروج الذهب ومعادن الجوهر . ويبدأ بمقدمة قصيرة عن مصادر الكتاب ونقدها ، وهو ما لم يفعله اليعقوبي في تاريخه .

ويتضمن الكتاب أربعة أجزاء :

الأول : مقدّمة المحقّق وترجمة للمسعودي وكتبه ؛ ثم أغراض الكتاب . ويبدأ النص بذكر المبدأ والخليقة وآدم وبنيه ، ويلي ذلك قصة إبراهيم عليه السلام وبقية الأنبياء والرسل . وبعد ذلك يتحدث عن الهند وأخبارها ، والأرض وأقاليمها وبحارها وخلجانها ؛ ثم يتحدث عن الأمم القديمة مثل الفرس وملوك ما بين النهرين ، واليونان وملوكهم ، ثم الروم ومصر وملوكها ، ومقاييس النيل والإسكندرية ومنارتها ، ويختم الكتاب بذكر السودان وأجناسهم وبلدانهم .

والثاني : يتحدث عن الصقالبة ومساكنهم وملوكهم والأندلس والإفرنجة ، وذكر مكة وبناء البيت ، واليمن والشام وأنسابهما ، ثم يتحدث عن ملوك الحيرة وبوادي العرب ودياناتهم وقصة أصحاب الفيل ، ومذاهب الجاهليين وأقوالهم وآرائهم في الكهانة والكهان ، ثم ذكر سني العرب والعجم وشهور الفرس والسريانيين وتواريخهم ، وسني العرب وشهورهم وأيامهم ، ثم ذكر أرباع العالم وما اختص به كل جزء ، وذكر الأصنام وبيوت العبادة عند اليونان والروم والفرس والصقالبة والصابئة ، ثم ذكر مولد الرسول ﷺ وسيرته ، ثم الخلفاء الراشدين . وينتهي هذا الجزء بخلافة الحسن بن علي وأخباره ووفاته سنة ٥٠ هـ .

والثالث : يبدأ بذكر معاوية بن أبي سفيان وخلافته ، ثم ابنه يزيد وبقية الخلفاء الأمويين وحروبهم مع عبد الله بن الزبير ، حتى يصل إلى نهاية بني أمية ١٣٢ هـ . فيبدأ الحديث عن بني العباس وخلافة السفاح والمنصور والمهدي وبقية خلفاء بني العباس حتى وفاة الواثق سنة ٢٣٢ هـ .

والرابع : يبدأ بخلافة المتوكل الذي أظهر السّنة ومنع الجدل ، ثم ذكر خلافة المنتصر والمستعين حتى خلافة المطيع الذي بويع سنة ٣٣٤ هـ .

وفي آخر الجزء الرابع يذكر المسعودي جامع التاريخ الثاني من السنة الأولى للهجرة ، وذكر بني مروان وخلفاء بني هاشم ، وتسمية من حجّ بالناس من أول الإسلام إلى سنة ٣٣٥ هـ .

والجزء الأخير من المجلد الرابع كشاف تحليلي بأعلام الرجال والنساء والأماكن والأمم والقبائل والموضوعات ، وأسماء الحيوان والنبات والمعادن والفلك وعلم الهيئة ، وعناوين الكتب ، ولغة المسعودي .

والمسعودي وقبله اليعقوبي تخلصا من منهج الروايات المسندة ، واتبعا منهجاً موضوعياً متطوراً ؛ ولم يكن المسعودي مؤرّخاً فحسب ، بل كان جغرافياً وفلكياً ورحالة يجمع مادته التاريخية من معايناته ومشاهداته ، ويربط بين البيئة الجغرافية والقضايا التاريخية[١٠] .

واتبع المسعودي طريقة النقد التاريخي دون مجاملة أو تحامل ، وعلى الرغم من ميله إلى مذهب المعتزلة إلا أنه لم يكن متعصّباً لهم ، وظل ملتزماً بالموضوعية والحيدة ، مبتعداً عن التيارات السياسية والحزبية ، وانتقد بعض الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم ، واهتم بتحليل الحوادث التاريخية وربطها بأسبابها ودوافعها .

وترجع أهمية تاريخ المسعودي إلى اعتماده على معاينة الوقائع مباشرة، وتحليله للمجتمعات الإسلامية، فجاءت أخباره نابضة بالحياة، والمسعودي أول من ربط الزمان بالمكان والبيئة بالإنسان، ودرس حياة الشعوب ووضعها في صورة اجتماعية واقتصادية وفكرية متكاملة، وجعل التاريخ موضوعاً للتحليل وليس مجرّد سرد قصص وروايات.

وكان للجهد الذي بذله يوسف أسعد داغر في تحقيق الكتاب، ووضع فهارسه المختلفة أثر كبير في تسهيل أعمال الدّارسين والباحثين، الذين كانوا يتحملون مشقة كبيرة في التعامل مع الطبعة الفرنسية العقيمة التي نشرها المستشرق الفرنسي باربيه دي منار من سنة ١٨٦١ — ١٨٧١ في تسعة مجلدات.

٤ — الكامل في التاريخ[١١]:

ومؤلفه عز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ)، ويقع الكتاب في ١٣ مجلداً.

الأول: يبدأ بمقدمة عن نشأة التاريخ الإسلامي، ثم بدء الخليقة وقصة آدم ثم الأنبياء بعده، ثم يعرض تاريخ الأمم القديمة كاليونان والرّوم، وينتهي هذا الجزء بتاريخ العرب قبل الإسلام.

والثاني: يتحدث عن مولد الرسول ﷺ وسيرته، ثم الخلفاء الراشدين، وينتهي بسنة ٢٠ هـ وهو تاريخ فتح مصر.

والثالث: عن بقية عصر الخلفاء الراشدين، وفتوح خراسان وكرمان وإفريقيا والأندلس وينتهي بأخبار معاوية بن أبي سفيان.

والرابع: يبدأ بسنة ٦٠ هـ وتاريخ وفاة معاوية، والحديث عن بقية الخلفاء الأمويين وفتح الأندلس سنة ٩٢ هـ، وينتهي بسنة ٩٥ هـ.

والخامس: يبدأ بسنة ٩٦ هـ وهو تاريخ وفاة الوليد وبيعة سليمان، ويتحدث عن الخوارج ودعوة العلويين، ثم العباسيين حتى سنة ١٥٤ هـ.

والسادس: يبدأ بسنة ١٥٥ هـ وينتهي بسنة ٢٢٧ هـ.

والسابع: يبدأ بسنة ٢٢٨ هـ وخلافة الواثق والمعتمد والمعتضد والمكتفي والحركات الحزبية وينتهي بسنة ٢٩٤ هـ.

والثامن: يبدأ بسنة ٢٩٥ هـ، ويتحدث عن خلافة المقتدر والقاهر والراضي والمتقي، والمستكفي والمطيع والطائع. وينتهي بسنة ٣٦٩ هـ.

والتاسع: يبدأ بسنة ٣٧٠ هـ وينتهي بظهور البويهيين سنة ٤٥٠ هـ.

والعاشر: من سنة ٤٥١ هـ ودولة السلاجقة وينتهي سنة ٥٢٧ هـ، وسقوط طليطلة في الأندلس.

والحادي عشر: من سنة ٢٥٨ والدولة الزنكية حتى سنة ٥٨٣ هـ.

والثاني عشر: من سنة ٥٨٤ هـ وأخبار صلاح الدين الأيوبي وخلفائه والحروب الصليبية، وينتهي الكتاب في سنة ٦٢٨ هـ.

والثالث عشر: كشاف تحليلي مفصّل بالأعلام والأماكن.

ويمتاز تاريخ ابن الأثير بالدّقة العلمية واستقصاء الحقائق التاريخية، ويتّصف بالوضوح والتركيز وذكر أوفى الروايات وأصحّها، حاذفاً سلسلة الأسانيد، متجنباً تشتيت الحادثة الواحدة كما وقع في ذلك الطبري. وحذف ابن الأثير في تاريخه كثيراً من الأساطير والقصص الخيالي، واعتمد على المراجع المتخصصة لكل إقليم، فاختار تاريخ المنتظم لابن الجوزي (توفي ٥٩٧ هـ)، والهمذاني (توفي ٥٢١ هـ) في حديثه عن العراق؛ وتاريخ الصنهاجي (توفي ٦٢٨ هـ) في حديثه عن المغرب والأندلس؛ وابن القلانسي (توفي ٥٥٥ هـ) والعظيمي (توفي ٥٥٦ هـ) في حديثه عن الشام والجزيرة شمال غرب العراق.

ويذكر سعيد عبد الفتاح عاشور[١٢] أن ابن الأثير اعتمد على تاريخ ابن شداد في حديثه عن المغرب، وبعد البحث والاستقصاء وجدت اثنين من أبناء شدّاد كتبا في التاريخ، الأول يوسف بن رافع (٥٣٩ — ٦٣٢ هـ) ولم يكتب في تاريخ المغرب شيئاً، والثاني محمد بن علي الأنصاري (٦١٣ — ٦٨٤ هـ)، أي أن عمره كان ١٤ سنة عندما أتم ابن الأثير كتابه، وهذا لا يستقيم، فأرجو أن يكون الأمر هفوة عالم.

وعلى الرغم مما وجّه من نقد لابن الأثير، فإن كتابه مرجع وحيد عن الحروب الصليبية في عصره، وتاريخ للدولة الإسلامية على مدى ستة قرون ونيّف.

٥ — البداية والنهاية[١٣]:

ومؤلفه ابن كثير صاحب السيرة النبوية المعروفة باسمه، ويتضمن الكتاب ١٤ جزءاً:

الأول: يبدأ بمقدمة قصيرة، تليها فصول عن بدء الخلق والقلم والكرسي، والسّماء والأرض، ثم قصة آدم وبقيّة الأنبياء، وينتهي بذكر إلياس عليه السّلام.

والثاني: يكمل الأنبياء والأمم القديمة كاليونان والرّوم والفرس، ثم تاريخ العرب في الجاهليّة، وينتهي بذكر نسب الرسول ﷺ.

والثالث: عن الوحي والبعثة والسيرة وينتهي بسنة ٢ هـ.

والرابع: يبدأ بسنة ٣ هـ وينتهي بسنة ٨ هـ.

والخامس: يبدأ بسنة ٩ هـ وغزوة تبوك وينتهي بذكر كتّاب الوحي.

والسادس: يتحدّث عن آثار الرسول وخلافة أبي بكر وينتهي بسنة

١٢ هـ .
والسابع : يبدأ بسنة ١٣ هـ ومعركة اليرموك وينتهي بسنة ٤٠ هـ .
والثامن : يتناول سيرة علي ومواعظه وخطبه وحروبه مع الأمويين ، ثم الدّول الأموية حتى سنة ٧٣ هـ .
والتاسع : يتحدّث عن بقية الخلفاء الأمويين حتى سنة ١٢٥ هـ .
والعاشر : يتحدّث عن أواخر الدّولة الأموية ، ثم دولة بني العبّاس وخلفائها وينتهي بخلافة المستعين سنة ٢٤٨ هـ .
والحادي عشر : بقية عصر المستعين وخلفائه حتى سنة ٤٠٥ هـ .
والثاني عشر : من سنة ٤٠٦ هـ وينتهي بذكر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٨ هـ .
والثالث عشر : من سنة ٥٨٩ — ٦٩٧ .
والرابع عشر : من سنة ٦٩٨ — ٧٦٦ .

ويؤخذ على ابن كثير أنه سار على نهج المؤرخين الذين اعتملوا على الروايات ، وذكر الصيغ المختلفة للرواية الواحدة ، وهذا يؤدي إلى تشتيت الحادثة الواحدة في أكثر من مكان . وكان ابن كثير في الأجزاء الأولى من الكتاب مفسّراً ومحدّثاً أكثر مما كان مؤرخاً ، فجاءت الأجزاء الأربعة الأولى مليئة بالآيات والأحاديث ، وكأنّما أفرغ سيرته في تاريخه . ويميل ابن كثير إلى الإطناب والاستطراد اللذين لا لزوم لهما ، ويؤرخ للحكام دون المجتمعات ، وهو مثل الطبري لا يحاول الربط بين الأحداث وتحليلها .

وترجع أهمية تاريخ ابن كثير إلى أنه يغطي نحو ثمانية قرون من تاريخ العرب والمسلمين ، ويضم تراجم مرتبة على حروف المعجم ، ومرجع للحروب الصليبية يكمل ما بدأه ابن الأثير في تاريخه .

٦ — المنتظم في تاريخ الأمم[١٤] :

ومؤلفه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥١٠ — ٥٩٧ هـ) ، ويتضمن الكتاب المخطوط ١٢ جزءاً ، ويكملها المطبوع «ستة أجزاء فقط هي الأجزاء من ٥ — ١٠» .

والأول : يبدأ بالحديث عن بدء الخليقة ، ثم أحوال الكون وما فيه من أفلاك ونجوم والأرض وأقاليمها ، وآدم والأنبياء بعده ، وينتهي بوفاة النبي زكريا .

والثاني : يبدأ بوفاة يحيى عليه السلام ، وبقية الأنبياء ، حتى يصل إلى الرسول محمد ﷺ ، فيتحدث عن مولده ويسهب في حوادث سنة ٢٥ من عمره لأنها سنة زواجه ، وانتهج في تأريخه للبعثة نظاماً حولياً يبدأ بالسنة الأولى للبعثة حتى يصل إلى سنة ٩ للبعثة .

والثالث : يبدأ بسنة ١٠ هـ والدعوة الإسلامية ، ثم يبدأ بعد سنة ١٣ للبعثة بالتاريخ الهجري ، وينتهي الجزء الثالث عند أحداث سنة ١٠ هـ .

والرابع : يتحدث عن بقية السنة العاشرة للهجرة ، ووفاة الرسول ﷺ ، ثم خلافة أبي بكر وعمر ، وينتهي هذا الجزء بسنة ٢٨ هـ وهو تاريخ فتح قبرص .

والخامس : يبدأ بحوادث سنة ٣١ هـ وبقية العصر الراشدي ، وينتهي بسنة ٦١ هـ . ولم تذكر حوادث ووفيات سنتي ٢٩ و ٣٠ في المخطوط .

والسادس : بقية حوادث سنة ٦١ والخلفاء الأمويون حتى سنة ٩٥ هـ .

والسابع : بقية حوادث سنة ٩٥ ووفاة الحجاج ، ثم بقية خلفاء بني أمية ، وظهور الدولة العباسية وينتهي بأحداث سنة ١٣٧ هـ .
والثامن : من سنة ١٣٧ — ١٧٤ هـ .
والتاسع : من سنة ١٧٥ — ١٩٣ هـ .
والعاشر : من سنة ١٩٤ — ٢١٦ هـ .
والحادي عشر : من سنة ٢١٧ — ٢٤٧ هـ .
والثاني عشر : من سنة ٢٤٨ — ٢٨٩ هـ ، وهو باب خلافة المكتفي بالله ؛ ويلتقي هذا الجزء بالقسم الثاني من الجزء الخامس المطبوع عند وفيات سنة ٢٥٧ هـ .

وأما الكتاب المطبوع فهو ستة أجزاء :
الخامس : ويبدأ بوفيات سنة ٢٥٧ هـ وينتهي سنة ٢٨٤ هـ .
والسادس : من سنة ٢٨٥ — ٣٤٩ هـ .
والسابع : من سنة ٣٥٠ — ٤١١ هـ .
والثامن : من سنة ٤١٢ — ٤٧٤ هـ .
والتاسع : من سنة ٤٧٥ — ٥٢٠ هـ .
والعاشر : من سنة ٥٢١ — ٥٧٤ هـ .

وفي كل سنة يؤرخ لها يذكر خلاصة الأحداث التي جرت فيها ، ثم يذكر وفياتها وتراجم لهم .

وترجع أهمية تاريخ ابن الجوزي إلى أنه حفظ كثيراً من النصوص التي لم تظهر في غيره ، وجمع بين حوادث السنين ووفياتها في أسلوب متقن متماسك ، وأثر في المؤرخين الذين جاؤوا بعده ، كما في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، ومرآة الجنان لليافعي .

وقد اختصر ابن الجوزي كتابه المنتظم في كتاب بعنوان : شذور العقود في تاريخ العهود ، وأضاف إليه حوادث أربع سنوات ٥٧٥ — ٥٧٨ هـ .

وذيّل عليه محمد بن محمد القادسي (توفي ٦٣٤ هـ) بكتاب سماه «الفاخر في ذكر حوادث الإمام الناصر» وتنتهي حوادثه بسنة ٦١٦ هـ . واقتصر المنتظم علاء الدين علي بن محمد الشهير بمصنفك

في سنة ٨٧٠ في مجلد واحد، وسمّاه «مختصر المنتظم وملتقط الملتزم». وقال علي بن أمر الله الحنائي (توفي ٩٧٩ هـ): فيه أوهام كثيرة وأغلاط صريحة.

وقد قام حسن عيسى علي الحكيم بتحقيق كتاب المنتظم ونشر عمله في سنة ١٩٨٥ م.

٧ ــ تاريخ ابن خلدون[١٥]:

وهو كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ويتضمن سبعة أجزاء:

الأول: يبدأ بمقدمة قصيرة عن علم التاريخ، وذكر المشهورين من مؤرخي الإسلام، وفضل علم التاريخ، ثم يتحدث عن العمران والعوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والدواوين والعلوم المختلفة، والبدو والحضر، ويعرف هذا الجزء بمقدّمة ابن خلدون.

والثاني: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى البعثة النبوية، ويتحدّث عن السريانيين والنبط والكلدانيين والفرس والقبط واليونان والرّومان، ثم ينتقل إلى السيرة النبوية والخلفاء الراشدين، وينتهي عند بيعة الحسن لمعاوية في عام الجماعة.

والثالث: يتناول خلافة معاوية بن أبي سفيان، وبقية خلفاء بني أمية وأعمالهم وفتوحاتهم والأحزاب المناوئة لهم ونهاية دولتهم، ثم ينتقل إلى دولة بني العباس وخلفائها، وينتهي الجزء بسقوط بغداد، وانتقال الخلافة الإسلامية إلى مصر.

والرابع: يتحدث عن دولة الأدارسة في المغرب، ودولة الأغالبة في تونس، والفاطميين في المغرب والأندلس، وينتهي الجزء بدولة بني حسنويه.

والخامس: يبدأ بالحديث عن دولة السلاجقة في العراق وإيران، ثم دولة الغوريين ودولة الغزنويين، ثم الدولة الزنكية والحروب الصليبية، وينتهي هذا الجزء بخلاف أحفاد هولاكو وانقسام دولتهم إلى طوائف.

والسادس: يتحدث عن مغرب الدولة الإسلامية، ودخول بني هلال المغرب، ويتحدّث عن الموحدين والدّولة الحفصية، وينتهي هذا الجزء بذكر بني مكي في قابس.

والسّابع: يتحدّث عن دول المغرب، ويبدأ بذكر قبيلة زناتة، وينتهي هذا الجزء بفصل يتحدّث فيه المؤلف عن نفسه، ويذكر نسبه ورحلاته المختلفة والمناصب التي تقلدها، وبذلك ينتهي الكتاب. وهذا النهج الذي يترجم فيه المؤلف نفسه لم يظهر في كتب التاريخ العربي.

ويعدّ تاريخ ابن خلدون منعطفاً خطيراً في التاريخ العربي الإسلامي في مادتِهِ ومنهجه، ويعدّ الجزء الأول بداية حقيقية لعلم الاجتماع، ونال هذا الجزء الذي يعرف بمقدمة ابن خلدون عناية من الدارسين والباحثين تفوق عنايتهم بتاريخ ابن خلدون.

ونهج ابن خلدون نهجاً علمياً يقوم على دراسة المجتمعات وثقافاتها، ويعتمد على التحليل، وبذلك طور ابن خلدون منهج كل من اليعقوبي والمسعودي. ويعد تاريخ ابن خلدون مرجعاً أصيلاً لمغرب الدولة الإسلامية الذي لم ينل كبير اهتمام من مؤرخي المشرق.

٨ ــ تاريخ الإسلام للذهبي[١٦]:

يعد هذا الكتاب أضخم كتب التاريخ الإسلامي على الإطلاق وأغزرها مادة. ويتناول الكتاب تاريخ الإسلام من سنة ١ هـ ــ ٧٠٠ هـ، أي أنه يغطي مدة زمنية تبلغ سبعة قرون. ويغطي من حيث المكان جميع أجزاء الدولة الإسلامية من أقصى المشرق حتى الأندلس غرباً. وهو سجلّ للأحداث التاريخية التي مرّت بها المجتمعات الإسلامية. ويضم تراجم ٤٠ ألف شخص، وهو عدد ضخم لايدانيه فيه أي كتاب آخر كالمنتظم لابن الجوزي، أو مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (توفي ٦٥٤ هـ).

واشتمل الكتاب على مادة واسعة في التاريخ السياسي والإداري وذكر الأحوال الاقتصادية للدّولة الإسلامية في مختلف عصورها، وفي ترجمة الأعلام يذكر رحلاتهم العلمية في طلب العلم، ممّا يساعد في رسم صورة عن مراكز الثقافة في أزمانهم، ويذكر بعض مؤلفاتهم ويصف بعضها.

واختصر الذّهبي كتابه ليؤلف منه كتاب «العبر في خبر من غبر» والدول الإسلامية، والإشارة إلى وفيات الأعيان، والإعلام بوفيات الأعلام، كما اعتمد على هذا التاريخ في تأليف كتابي: سير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ، وهما من كتب التراجم.

ويذكر بشّار عواد معروف[١٧] في مقدمته لتحقيق الكتاب أن الذهبي اعتمد ثلاث طرق لترتيب المعلومات في كتابه، وهي:

أ ــ من سنة ١ ــ ٤٠ هـ، خلط الحوادث والتراجم معاً، وأورد التراجم التي ذكرها ضمن الحوادث في نهاية كل سنة، وهي قليلة نسبياً.

ب ــ من سنة ٤١ ــ ٣٠٠ هـ، ذكر أحداث كل عشر سنوات متتالية، ورتّب التراجم ألفبائياً، مع إغفال سنوات الوفاة أحياناً.

جـ ــ من سنة ٣٠١ ــ ٧٠٠ هـ، فصل الحوادث عن الوفيات، وجمع الحوادث المتشابهة في مجلد واحد مثل: المغازي، والخلفاء الراشدين.

وقد نشر عمر عبد السلام تدمري عدّة أجزاء من الكتاب ، وما زالت أجزاء كثيرة منه مخطوطة ومفرّقة في مكتبات العالم ، وننتظر من يحصل عليها ليحققها وينشرها .

وترجع أهمية تاريخ الذهبي إلى أنه أوسع كتاب في التاريخ العربي الإسلامي ، وأكثرها في تراجمه ، وفيه روايات وأسانيد ورسائل لم يسبقه إليها أحد كالخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣ هـ) وابن عساكر (توفي ٥٧١ هـ) . كما أنه مصدر أساسي لكل من جاء بعده مثل الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات ، والكتبي في عيون التواريخ ، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى ، وابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ، وغيرهم من مؤلفي كتب التراجم .

٩ ــ شذرات الذهب[١٨] :

ومؤلفه ابن العماد الحنبلي (توفي ١٠٨٩ هـ) ، ويقول في مقدمة كتابه: «جمعتها من أعيان الكتب وكتب الأعيان ، ممن كان له القدم الراسخ في هذا الشأن ، فمن جمعت من كتبهم وكرعت من نهلهم وعلمهم مؤرخ الإسلام الذهبي ، وفي الأكثر على كتبه أعتمد ، ومن مشكاة ما جمع في مؤلفاته أستمدّ ، وبعده من اشتهر في هذا الشأن كصاحب الكمال والحلية والمنهل وابن خلكان ، وغير ذلك من الكتب المفيدة والأسفار الجميلة الحميدة»[١٩] .

ويغطي الكتاب الأحداث التاريخية الإسلامية على مدى عشرة قرون ، وذلك من سنة ١ ــ ١٠٠٠ هـ ، ويذكر وفيات كل سنة وتراجم موجزة عنهم ، ويفوق الكتاب في مداه الزمني جميع موسوعات التاريخ العربي الإسلامي بما فيها تاريخ الذهبي ، ولكنه يميل إلى الإيجاز في ذكر حوادث كل سنة ، فتشغل السنة الأولى سطرين فقط .

ويتألف الكتاب من ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات :

الأول : من سنة ١ ــ ٢٠٠ هـ .

الثاني : من سنة ٢٠١ ــ ٣٤٩ هـ .

الثالث : من سنة ٣٥٠ ــ ٥٠٠ هـ .

الرابع : من سنة ٥٠١ ــ ٦٠٠ هـ .

الخامس : من سنة ٦٠١ ــ ٧٠٠ هـ .

السادس : من سنة ٧٠١ ــ ٨٠٠ هـ .

السابع : من سنة ٨٠١ ــ ٩٠٠ هـ .

الثامن : من سنة ٩٠١ ــ ١٠٠٠ هـ .

ويغطي الجزء الأول مائتي سنة ، وكل من الجزأين الثاني والثالث مائة وخمسين سنة ، وبعد الثالث يغطي كل جزء مائة سنة ، وهذا يعني أن الأحداث أكثر تفصيلاً في السنوات الأخيرة . وترجع أهمية تاريخ ابن العماد إلى أن معلوماته مركزة وموجزة ، وتغطي مرحلة زمنية طويلة ، وخلاصة للكتب السابقة عليه ، وفي الجزء الأخير منه كشاف بأسماء الأعلام .

١٠ ــ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي[٢٠] :

ومؤلفه حسن إبراهيم حسن ، وإذا كان صاحب الموسوعة الأولى في هذا المقال وهو اليعقوبي ، من رجال القرن الثالث الهجري ، فإن صاحب الموسوعة الأخيرة من رجال القرن الرابع عشر ، وهو عالم ومؤرخ ورئيس جامعة .

ويتألف الكتاب من أربعة أجزاء :

الأول : يتناول العرب قبل الإسلام ودولهم وملوكهم ومعتقداتهم ، ثم يتحدث عن البعثة النبوية ، وأثر الإسلام على العرب ، ثم دولة المدينة المنورة ، والخلفاء الراشدين ، وبعدهم دولة بني أمية والحركات السياسية والدينية والعلوم والحالة الاجتماعية .

والثاني : يتناول العصر العباسي الأول ، ويبدأ بحالة الأحزاب السياسية والدينية في آخر العصر الأموي ، ثم قيام الدولة العباسية وخلفائها ، ثم الحركات السياسية والدينية ، وينتقل بعد ذلك إلى علاقات الدولة الخارجية والنظم الإدارية والمالية والاقتصادية ، ثم العلوم والفن والحياة الاجتماعية .

والثالث : يتناول العصر العباسي الثاني ، ويبدأ بعصر نفوذ الأتراك ، وذكر الخلفاء العباسيين في هذا العصر ، ثم يتحدث عن عصر إمرة الأمراء ، والبويهيين والدولة الصفارية والسامانية ، ويتناول الدّول المستقلة عن الخلافة العباسية مثل الغزنويين والفاطميين في مصر والأدارسة في المغرب والأغالبة في تونس . وفي آخر الجزء يتناول الحركات السياسية والدينية ، والعلاقات الخارجية ، ثم النظم الإدارية والمالية ، ثم العلوم والفن والحياة الاجتماعية .

والرابع : يبدأ بالعصر السلجوقي ، ثم عصر سنجر وإخوانه ، ثم الأتابكة والأيوبيين ؛ ويتحدث عن غزوات المغول وسقوط بغداد ، ثم جنكيز خان وبنيه ، ثم الدول المستقلة كالغوريين والغزنويين ، والدّولة الموحدية أو الموحدين في المغرب والأندلس ، وفي نهاية الكتاب يتحدّث المؤلف عن الحركات السياسية والدينية ، ثم النظم الإدارية والمالية والقضائية ، والثقافة والحياة الاجتماعية .

وإذا تخلصنا من عقدة التعصّب الشديد للمؤلفات القديمة ، وألغينا الحدود الوهميّة بين أمهات الكتب و«الحفيدات» ــ إن صح التعبير ، وكان مقياسنا في تقويم الكتب المعلومات ونوعيتها ودقّتها وتوثيقها وترتيبها ، فإنه يمكن أن نعدّ تاريخ حسن إبراهيم أكمل مرجع في موضوع تاريخ الإسلام ودوله ، ولعلّ في الأدلة التالية ما يدعم هذا الحكم :

أ ــ يؤرخ الكتاب للحياة بكاملها في المجتمعات الإسلامية العربية ،

في صورة شاملة للحياة السياسية والإدارية والاقتصادية ، وتحليل للعلاقات الخارجية والحياة الفكرية والاجتماعيّة .

ب ـــ في نهاية كل جزء من الأجزاء الأربعة قائمة ببليوغرافية موضوعية ، تشمل المصادر القديمة والحديثة بمختلف اللغات ، والقوائم في مجموعها تشكل مرجعاً غزيراً للباحثين والدارسين والمكتبات .

جـ ـــ حرص المؤلّف على توثيق مصادره ومراجعه توثيقاً علمياً دقيقاً في الهامش السفلي للصفحات ، وكان أميناً فيما نقل عنه ، ومؤرخاً موضوعياً محايداً .

د ـــ حرص على ترتيب الموضوعات التاريخية على أساس منطقي داخل كل عصر ودولة ، فبدأ بالتاريخ السياسي وتفريعاته ، ثم ما يتصل به ، ثم العلاقات الخارجية ، ثم الحركات السياسية والدينية ، ثم يتحدّث عن النظم الإدارية والمالية والقضائية ، وأخيراً الحياة الفكرية والفنون والحياة الاجتماعية ، والتزم المؤلف هذا النظام في جميع أجزاء الكتاب .

هذه عشر موسوعات في تاريخ الإسلام والعرب ، تشترك في شمولها لأرجاء الدول الإسلامية ، وتختلف في سعتها الزمنية والنوعية ؛ وقد سارت ست منها على نهج التأريخ الحولي وهي : تاريخ الطبري وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن الجوزي ، والذهبي ، وابن العماد الحنبلي ؛ بينما التزمت الأربع الباقية بالتأريخ الموضوعي وهي : تاريخ اليعقوبي ، والمسعودي ، وابن خلدون ، وحسن إبراهيم .

وتعدّ هذه الموسوعات العشر نبعاً لا ينضب لكل باحث ودارس ، وأساساً متيناً لكل من أراد التأليف في التاريخ الإسلامي العربي .

وآمل من الجامعات العربية التي ترسل بعثاتها الدّراسية ، للبحث في الدين الإسلامي ولغة القرآن وتاريخنا العربي والإسلامي ، أن تغيّر خططها الأمريكي والغربي ، إلى خط في العالم العربي .

الهوامش

(١) ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ؛ تحقيق إحسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٠ . جـ ٣ : ص ص ٩٣ ـــ ٩٥ .

(٢) في بعض المراجع : أيكة حرفة .

(٣) علي أدهم . **بعض مؤرخي الإسلام** . القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٧٢ . ص ٥ .

(٤) الحلوجي ، عبد الستار . **لمحات في تاريخ الكتب والمكتبات** . القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٨٢ . ص ٣١ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم . **التاريخ والمؤرخون العرب** . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨١ . ص ٥٦ .

(٦) المرجع السابق . ص ٨٣.

(٧) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب . **تاريخه** . بيروت : دار صادر ، ١٩٦٦ . ٣ ج .

(٨) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . **تاريخه** . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٧ . ١١ ج .

(٩) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** . بيروت : دار الأندلس ، ١٩٦٥ . ٤ ج .

(١٠) الشرقاوي ، عفت محمد . **أدب التاريخ عند العرب** . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٣ . ص ٢٨١ .

(١١) ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** . بيروت : دار صادر ، ١٩٧٩ . ١٣ ج .

(١٢) عاشور ، سعيد عبد الفتاح . **تراث الإنسانية** . مج ٢ : ص ٩٠٩ .

(١٣) ابن كثير . **البداية والنهاية** . بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ . ١٤ ج في ٧ مج .

(١٤) ابن الجوزي . **المنتظم** . حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ هـ ، ١٠ مج .

(١٥) ابن خلدون . **العبر وديوان المبتدأ والخبر** . بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٩٧١ . ٧ مج .

(١٦) الذهبي . **تاريخ الإسلام** ؛ تحقيق عمر تدمري وبشار عواد . بيروت : مؤسسة الأعلمي ؛ القاهرة : البابي الحلبي ، ١٩٧٧ - ١٩٨٧ .

(١٧) بشار عواد معروف . مقدمة المرجع السابق . ص ص ١٩ ـــ ٢٠ .

(١٨) ابن العماد الحنبلي . **شذرات الذهب** . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ٨ ج في ٤ مج .

(١٩) المرجع السابق . ص ٨ .

(٢٠) حسن إبراهيم . **تاريخ الإسلام** . ط ٧ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ .

معايير المكتبات الجامعية

تحرير - بيڤري لينج

ترجمة ميسون حبيب حسّو
قسم المكتبات - الجامعة المستنصرية - بغداد

تمهيد :

من الأهداف الرئيسية للبرنامج المتوسط المدى للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات للأعوام ١٩٨١ — ١٩٨٥ القسم الخاص بالمكتبات الجامعية ومكتبات البحث الأخرى ، نشر معايير المكتبات الجامعية مع إشارة خاصة للبلدان النامية .

وقد شرحت اللجنة الدائمة للقسم هذا الموضوع في اجتماعها بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع والأربعين للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في ميونيخ عام ١٩٨٣ ، وتوصلت اللجنة إلى أنّ تطوير المعايير تُعدُّ مشكلة معقدة ومن الصعب جداً حلها في وقت معقول ، ولم تكن اللجنة واثقة عن مدى فائدة نتائجها ؛ لذلك تم الاتفاق على وضع إرشادات ومبادىء عامة لتطوير المعايير .

ولهذا الغرض تم تأليف فريق عمل صغير يتكون من السيدة بيفرلي لينج المكتبية من جامعة الينوي في ولاية شيكاغو (رئيسة) ، وريتشارد إم دوفرتي مدير المكتبة الجامعية في جامعة مشيكان في آن آربر . وهانز البرخت كوخ مدير مكتبة جامعة ستاتس في بريمن .

وشرحت مسودات فريق العمل بصورة مفصلة ، وتمت مراجعتها من لدن اللجنة الدائمة المجتمعة في نيروبي عام ١٩٨٤ ، وباجتماع افتتاحية خاصة للقسم في شيكاغو عام ١٩٨٥ قدمت اقتراحات أعضاء القسم . واختتمت المعايير السيدة بيفرلي لينج رئيسة فريق العمل ، والسيدة ري ليونز مسؤولة عن الترجمة الفرنسية . وكنت كاترمان عن الترجمة الألمانية ، و أ . رودركي عن الترجمة الاسبانية للمعايير . ولهذه المبادرة والعمل الجاد أقدم شكري لأعضاء فريق العمل كافة .

والبرنامج المتوسط المدى للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات للأعوام ١٩٨٦ — ١٩٩١ لا يزال يعرف «تطوير معايير المكتبات الأكاديمية» محددة لنشاط القسم غايته استمرار العمل بتطوير بعض كفاءات فريق العمل النظير له للتوصل إلى إرشادات ناضجة . إن أيّ دعم لهذا العمل سنرحب به .

انتوني لوفداي / الرئيس

١٩٨١ — ١٩٨٥

كنت كاترمان / الرئيس

١٩٨٥

المقدمة :

لقد أعدت معايير المكتبات الجامعية من لدن القسم الخاص بالمكتبات الجامعية ومكتبات البحث في الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات . وقد انبثقت المعايير بعد اجتماع الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في لايبزك عام ١٩٨١ ، الذي أبدت فيه اللجنة الدائمة اهتماماً بالغاً بتطوير معايير المكتبات الجامعية التابعة للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ، وبصورة خاصة بين المكتبيين في بلدان العالم الثالث .

وقد قدمت توصية منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم في الجلسة التي سبقت الندوة التي دعمها القسم الخاص في ميونيخ عام ١٩٨٣ إلى الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات وكانت تنص على الآتي :

«هناك حاجة ملحة لصياغة أسس معايير المكتبة الجامعية لتطبيقها بأسس وطنية وإقليمية في البلدان النامية ، وحثت الندوة القسم الخاص بالمكتبات الجامعية ومكتبات البحوث التابع للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات .. على القيام بهذا العمل» .

وينبغي أن تكون المعايير الدولية للمكتبات الجامعية عامة بشكل يسمح بتغييرات محلية وإقليمية ووطنية . وفي بعض البلدان تكون المكتبة الجامعية ذات مسؤولية خاصة باعتبارها مكتبة وطنية . وتقوم

المكتبات الجامعية بدور رئيسي في تطوير المكتبة الوطنية . وينبغي أن تتصف المعايير العالمية بديمومة هذه المسؤوليات ، وتعد معايير المكتبات الجامعية معايير مبادىء عامة ، ولا تحتوي هذه المعايير على أي أرقام تتعلق بالحد الأدنى للساعات أو المعدل الأدنى للمكتبيين لدعم الموظفين ، أو الحجم الأدنى للمجموعة ، أو الميزانية . وهذه المواصفات يجب أن يتم وضعها ضمن بلد أو إقليم معين إن كان مرغوباً فيها .

الغرض :

إن غرض وضع معايير المكتبة الجامعية هو توفير الوسائل التي بوساطتها يمكن تقويم نوعية خدمة المكتبة الجامعية ، وتقديم الإرشادات لتحسين المكتبة ، واقتراح إطار العمل ليتمكن العديد من البلدان أو الأقاليم تطوير معاييرهم . وتعتمد نوعية الخدمة والمجاميع المكتبية في العديد من البلدان بدرجة كبيرة على قدرة البلد في توفير الموارد الضرورية . بينما قد يكون للمكتبة الجامعية مسؤوليات أوسع ، وقد يكون لها قيود لا يمكنها التغلب عليها ، وتركز هذه المعايير على المكتبة ضمن إطار الجامعة التي تخدمها .

يبحث بعض المكتبيين عن معايير عالمية تصف حجم المجموعة وعدد الموظفين وكمية الميزانية المطلوبة . بينما لا يبحث بعضهم عن هذا . إن هذه المعايير المقدمة من لدن الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات لا تقدم مقاييس كمية للحجم المناسب .

وتحث المكتبات الجامعية في دعم الجهود الوطنية في وضع وتطوير معايير رقمية متنوعة تدعم التغيرات الوطنية والمحلية والإقليمية .

تستخدم المعايير في المكتبة الجامعية جملة ، وتعكس الاهتمام في نوعية خدمات المكتبة والمجاميع والموظفين والإمكانات ، إضافة إلى حجم الميزانية ووظائف مهمة أخرى في عمليات المكتبة . وتعكس هذه المعايير الاهتمام بالجهود المبذولة في المكتبة جملة والمحيط الذي تواصل فيه هذا الجهد .

إن معايير المكتبات الجامعية تمت كتابتها ضمن إطار يبين فيه تركيز الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في إعطاء الحق للجامعات في تلبية أغراضها التي وجدت من أجلها وحقوق أعضاء هيئة التدريس والطلبة الذين يدرسون ويتعلمون ويبحثون وينشرون بصورة مجانية . وضمن هذا الإطار تقوّم المكتبة الجامعية ، ولذلك تقدم هذه الإرشادات .

المعيار الأول : الهدف

١-١ . ينبغي على كل مكتبة جامعية أن تحدد هدفها بوضوح وأن يجسد هذا التحديد بعبارة تعكس الأغراض والأهداف والغايات للمؤسسة التي تشكل جزءاً منها .

١-٢ . إن صياغة عبارة الهدف يعتبر قراراً رئيساً ، وينبغي أن تتم التغيرات الرئيسة بعد اعتبارات مناسبة ويصادق عليها موظفو الجامعة بالاتفاق مع الهيئة المشرفة أو بدونه .

١-٣ . وضمن الأهداف الموضوعة للجامعة ينبغي أن يكون للمكتبة عدد كاف ومناسب من الموظفين ، والموارد المالية ، والإمكانات المادية ، والمجاميع والخدمات لتلبية أهداف وأغراض المؤسسة .

المعيار الثاني : التنظيم والإدارة

٢-١ . ينبغي على الإدارة الداخلية للمكتبة توفير المواد المختلفة والموارد البشرية والمالية والفنية وتنسيقها بكفاءة لتحقيق الهدف .

٢-٢ . ينبغي تحديد تنظيم المكتبة وهيكلها ، والإجراءات الإدارية والاتفاق عليها .

٢-٣ . ينبغي تحديد مكان المكتبة بوضوح ضمن هيكل الجامعة ، وأن تحدد مسؤوليات سلطة إدارة المكتبة والموظفين التنفيذيين الرئيسيين .

٢-٤ . ينبغي تحديد السياسات الرئيسة للمكتبة وإجراءاتها وتسجيلها بصيغة مكتوبة وإتاحتها بسرعة ومراجعتها باستمرار .

٢-٥ . ينبغي على لجنة المكتبة التي يقع ضمنها ممثلو الأقسام العلمية في الجامعة وإدارة المكتبة والموظفين الإداريين في المكتبة تقديم النصائح في الأمور التي تتعلق بالميزانية وبسياسات تطوير المجموعة واستخدامها .

المعيار الثالث : الخدمات

٣-١ . ينبغي أن تكون الخدمات التي تقدمها المكتبة ، ذات علاقة واضحة بأهداف الجامعة .

٣-٢ . ينبغي تقديم خدمات المكتبة بحيث تشجع وتسهل الاستخدام الكفء للمعلومات المسجلة في كافة الأشكال من لدن موظفي المكتبة .

٣-٣ . ينبغي أن تتضمن الخدمات المقدمة من المكتبة ، خدمات المعلومات والمراجع ، التي تتاح من نقاط مختارة ومحددة ويشار إليها بصورة كافية أثناء ساعات الخدمة ، وأن تكون الخدمات متخصصة ، وتتعاون بصورة وثيقة مع الأفراد عند استخدام موارد المكتبة .

٣-٤ . ينبغي أن تحتفظ المكتبة بسجلات لمجموعتها الكاملة ، وتتيح هذه السجلات للاستخدام التي يجب أن تتطابق مع المعايير الخاصة بالفهرسة والتصنيف .

٣-٥ . ينبغي أن تكون معظم المواد في مجموعة المكتبة متاحة بسهولة لاستشارتها في المكتبة ، ومتاحة للموظفين المسؤولين ضمن نطاق أهداف وأغراض المكتبة .

٣-٦ . ينبغي وصف كل ما يتعلق بتعليمات الإعارة وكيفية الوصول إلى مجموعة المكتبة لفئات المستخدمين جميعهم . ويجب أن تكون إجراءات الإعارة مناسبة وفعالة .

المعيار الرابع : مجاميع المكتبة

٤-١ . ينبغي أن تكون مجموعة المكتبة بحجم وسعة كافيين لتدعم الحاجات الإرشادية الكاملة للجامعة ولتسهيل برامج بحوث الجامعة .

٤-٢ . ينبغي أن تتضمن مجموعة المكتبة القراءات المحددة والمطلوبة والمواد المرجعية والبيليوغرافية والمجلات الرئيسة والمسلسلات إضافة إلى أية مواد أخرى من المتوقع أن يثيرها الطلبة باستمرار أثناء دراستهم أو عند إعداد رسائلهم الجامعية .

٤-٣ . ينبغي أن تعرّف المكتبة السياسات الخاصة بتطوير المجموعة التي ترشد في اختيار وتزويد المواد ، وينبغي أن تطور المكتبة سياسات من هذا النوع بالتشاور مع أعضاء هيئة التدريس في الجامعة والإدارة .

٤-٤ . ينبغي أن تتضمن مجموعة المكتبة الأشكال المتنوعة للمعلومات المسجلة .

٤-٥ . ينبغي مراجعة المجموعة باستمرار لضمان ملاءمتها مع حاجة الجامعة واستبعاد ، المواد غير الملائمة .

٤-٦ . ينبغي على المكتبة أن تساهم في تطوير الطرائق المختلفة للإعارة بين المكتبات لضمان إكمال الموارد المحلية الخاصة بحاجات البحث وتوفير المواد المكتبية .

المعيار الخامس : الموظفون

٥-١ . ينبغي أن يتوفر في المكتبة عدد كاف ومتنوع من الموظفين لغرض تطوير وتنظيم المجموعة المكتبية والحفاظ عليها وتقديم الخدمات المرجعية وخدمات المعلومات الضرورية لتلبية حاجات الجامعة . إن عدد ومؤهلات الموظفين سيحدد بعوامل خاصة من ضمنها حجم وسعة المجموعة المكتبية ، وعدد وحدات المكتبة المنفصلة وعدد نقاط الخدمة ، وعدد ساعات الخدمة ، ومعدل التزويد والإعارة ، وطبيعة الإجراءات والخدمة المطلوبة .

٥-٢ . ينجز المكتبيون الوظائف الأكاديمية والمهنية الرئيسة للمكتبة التي تتضمن : تطوير المجموعة ، وخدمات المعلومات والمراجع ، وأنشطة أساسية تتعلق بالسيطرة البيليوغرافية للمواد . ينبغي أن يتمتع المكتبيون بممارسة مكتبية وثقافة أكاديمية ومهنية مناسبة ، وتتضمن كذلك شهادة علمية أو مهنية تحدد تخصصاتهم المعينة متى ما دعت الضرورة لذلك .

٥-٣ . تتفاوت نسبة عدد المكتبيين إلى الكتبة وغيرهم من الموظفين اعتماداً على نوعية الخدمات والأعمال المقدمة من المكتبة وعلى متطلبات زخم العمل الإجمالي .

٥-٤ . ينبغي أن تكون ظروف وشروط التوظيف للمكتبيين منسجمة مع شروط وظروف توظيف أعضاء الهيئة التدريسية في مكان آخر ضمن نطاق الجامعة ، وينبغي أن تكون ظروف وشروط توظيف المكتبة وغيرهم من الموظفين موازية لغيرهم من الموظفين المماثلين ضمن المكتبة جملة .

٥-٥ . ينبغي أن يطور المكتبيون برامج لتشجيع ومساعدة الموظفين كافة في الترقية والتطوير المهني .

٥-٦ . يحدد إنجاز الموظفين بنطاق واسع بنوعية المجاميع المكتبية وخدمات المكتبة ، وعلى المكتبة أن تقوم ضمن إطار سياسات الجامعة وإجراءاتها بالتقويم المستمر لإنجاز العمل والتقدير العادل لخدمة الموظفين .

المعيار السادس : الإمكانات

٦-١ . ينبغي أن تكون الأبنية التي تضم مكتبات الجامعة بحجم ونوعية مناسبة لخزن مجموعة المكتبة ، وأن توفر مساحة كافية لاستخدام المكتبة من لدن الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والموظفين .

٦-٢ . ينبغي أن تكون بناية المكتبة جذابة ومصممة بحيث تزيد من فعالية الاستخدام . وتتضمن العوامل المحددة مخطط البناية والإضاءة والتهوية والسيطرة على الحرارة والرطوبة والرفوف وأمكنة العرض وعدد أماكن القراء .

٦-٣ . ينبغي توفير مكان مناسب للموظفين .

٦-٤ . ضمن إطار الأهداف التربوية للجامعة ينبغي أن تكون المكتبة مجهزة باللوازم الضرورية كافة لتشجيع أقصى الاستخدام من لدن طلبة الجامعة وأعضاء الهيئة التدريسية والموظفين .

المعيار السابع : الميزانية والتمويل

٧-١ . عند الحكم على مدى كفاية الموارد المالية للمكتبة ينبغي ربطها بالهدف الرئيس للجامعة ، وسعة البرنامج الأكاديمي للجامعة وعدد طلبتها . وعلى المكتبة أن تهيّء مبالغ كافية لتساعدها في توفير مجاميع مناسبة ، واختيار واستبقاء الموظفين المناسبين ، وتقديم خدمات مناسبة وإنجاز العمليات الضرورية وتلبية حاجات القراء .

٧-٢ . ينبغي أن تكون ميزانية المكتبة جزءاً منفصلاً عن ميزانية الجامعة ، والميزانية هي الدخل التقديري والمصاريف لفترة محددة من الزمن وعادة السنة المالية للمؤسسة .

٧-٣ . ينبغي أن تدار ميزانية المكتبة وتتطور من لدن الموظفين التنفيذيين الرئيسيين في المكتبة .

المعيار الثامن : التكنلوجيا

ينبغي أن تستفيد المكتبة الجامعية من التكنلوجيا المتاحة والمناسبة والمتضمنة إعداد البيانات الألكترونية ونظم الاتصالات بالتلغراف والهاتف .

المعيار التاسع : المحافظة على المواد وصيانتها

على المكتبة أن تضع سياسة وبرنامجاً للحفاظ على المواد المكتبية وصيانتها .

المعيار العاشر : التعاون

انسجاماً مع عبارة الهدف — ينبغي أن ترتبط المكتبة الجامعية مع غيرها من المكتبات الأخرى في أنشطة تعاونية تتعلق بتطوير المجموعة والمشاركة بالموارد وتطوير الفهارس الموحدة والمحافظة على المواد وصيانتها .

ملاحظة : نشرت هذه المعايير في مجلة IFLA مج ١٣ ، ع ٢ ، ١٩٨٧ م ، ص ص ١٢٠ — ١٢٥ .

• • •

ثقافة أطفال الأمة

محمد بسام ملص

تمهيد

تلقيت من أمين عام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية زيد عبد المحسن الحسين قائمة ببليوجرافية في أدب الأطفال تشمل مقتنيات مكتبة المركز حتى تاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٨ هجرية . تضم القائمة ١٣٦ عنواناً لمقالات ودراسات نشرت في ١٤ دورية عربية عامة ومتخصصة ، كما تحتوي القائمة على عناوين ٥ كتب .

وقد فاجأتني القائمة بسبب الاهتمام الكبير الذي يوليه المركز لمقتنياته ، فهذه المقتنيات قد خزنت بياناتها في حاسوب حتى يسهل على كل مهتم الوصول إلى ما يريد بيسر مع مراعاة اختصار الوقت وتوفير الكلفة فيما لو أراد المهتم الحصول على أية مقالة من مصدرها ، هذا إذا ما تيسر له التعرف إليها أصلاً . وكل عارف بأمور المكتبات يدرك الوقت الذي سينفقه أي باحث وهو يبحث عن مقالة بين عشرات الدوريات التي تضم مئات الأعداد ، إذا كانت عملية البحث نفسها تنحصر في أعداد مقبولة من الدوريات !

وبيانات الوثائق المدرجة في القائمة مخزنة في حاسوب حتى يسهل استرجاع معلوماتها عن طريق تعامل خاص بكل وثيقة . وقد تميزت القائمة بفهرسة موضوعية لكل مادة ، وهذا من شأنه أن يساعد المهتم في تحديد ما يريد من مقالات ودراسات ، بدل أن ينفق وقتاً طويلاً يقرأ كل مقالة وبحث ، إذ إن العنوان قد لا يساعده كثيراً . ولعل هذا ما يذكرنا بما هو معروف في علم المكتبات والمعلومات باسم المستخلصات (abstracts) فيؤكد على حاجة عالمنا العربي إلى هذه الخدمة المتميزة المتخصصة في المكتبات ومراكز البحوث .

دار لثقافة الأطفال

إذا كانت القائمة الببليوجرافية المشار إليها تعكس نوع الخدمة المكتبية المتطورة في مكتبة المركز ، فإن هذا يقودنا إلى موضوع رأيت أن أطرحه على كل المهتمين بأمر أطفال هذه الأمة ، وأخص بالذكر الأفاضل المشرفين على مركز الملك فيصل .

الموضوع يتناول إقامة دار متخصصة تهتم اهتماماً علمياً جاداً بثقافة الأطفال في إطار قيم هذه الأمة . وفكرة الموضوع كانت تدور في ذهن كاتب هذه السطور منذ فترة تزيد على خمس سنوات . وكانت النية أن تتبلور الفكرة في كتاب يبين تصوره المتواضع

للموضوع . وها قد حان الوقت بحمد الله لإلقاء ضوء على بعض النقاط المتعلقة بالدار بإيجاز إلى حد ما .

لماذا الدار ؟

عني الإسلام بالطفل عناية كبيرة لأنه سيكون حجراً متيناً في بنيان الأمة ، إذا ما أنشىء على أسس صحيحة . لم يدع الإسلام أمر هذا البنيان دون أن يحيطه بسياج منيع يحميه من كل خطر يحاول النيل منه .

ويعرف القارىء الكريم من التاريخ كيف تعرضت هذه الأمة لمحاولات الهدم منذ أن شاءت عناية المولى أن يظهر الإسلام ليضيء للإنسانية كلها عالماً كبيراً يعيش فيه الناس في تراحم وتآخ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . وهدف الناس في هذا العالم الكبير المتآخي أن يسيروا في الطريق الذي بيّنه لهم الحق عز وجل ودون زيغ حتى يعمروا الأرض ويكونوا خلفاء صالحين .

يتطلب الاهتمام بتربية الطفل جهوداً متصلة وعطاء لا ينضب وصدقاً في البذل والعمل . فالمطلوب هو العمل الصالح . المطلوب إيجاد ثقافة ملتزمة موجهة ترعى الطفل ، وخاصة الطفل المسلم أينما كان ، وتحميه من خطر كل غزو ثقافي . كما ترعى هذه الثقافة ، وهذا أمر على غاية من الأهمية ، مَن يرعى الطفل نفسه ، وأعني به الكبير . لأن الأصل لا بد أن يكون صالحاً حتى يكون الفرع صالحاً يعطي ثمراً طيباً على أساس مبدأ التربية بالقدوة .

ثقافة الأطفال السائدة

لا بد للقارىء أن يحاط علماً بجوانب ثقافة الأطفال السائدة في عالمنا العربي . ويعرف المتابع لثقافة الأطفال أن كثيراً مما هو موجود لا يصلح أن يقدم لأطفال هذه الأمة .

هناك نوع يقدم ثقافات أمم أخرى ، وهو إما أن يترجم في عالمنا العربي أو تقوم تلك الأمم بترجمته ، وفيه ما هو صالح وفيه ما هو غيرذلك .

نوع ثان أكثر خطراً من النوع الأول لأنه يحاول أن يفصل أطفال الأمة عن تاريخهم عن طريق تشويه هذا التاريخ . ويمثل هذا الاتجاه كتّاب يقصدون الدس والافتراء[1] وكتّاب يسيئون إلى تاريخنا دون قصد[2] فالنية الحسنة لا تكفي للتعامل مع تاريخنا دون علم ، لأن كتّاب هذا النوع يتناولون التاريخ الإسلامي ولكنهم يقعون في أخطاء جسيمة .

نوع ثالث سائد في ثقافة الأطفال يتناول الحياة بمختلف جوانبها من ماض وحاضر ومستقبل ، دون اعتبار لقيم الأمة . وهذا خطر أيضاً لأنه يزين للناشئة الحياة بمعزل عن قيمها الأساسية التي لا بد من أن تتمسك بها في واقعها اليومي .

نوع رابع يقترب مما هو مطلوب ولكن تنقصه في أحيان كثيرة رؤية حضارية شاملة حتى يكون هو المطلوب . ويبقى هذا النوع ضمن إطار تقليدي في الأسلوب يتطرق إلى موضوع واحد في حالات كثيرة ، وهو موضوع سير السلف الصالح دون أن يحاول ربط تلك السير بالحاضر والمستقبل . ويعود هذا إلى انعدام الرؤية الحضارية . فالمادة التي يقدمها هذا النوع بشكل عام تبقى في إطار «الماضي» دون أن تتصل بالحاضر والمستقبل على الرغم من أهمية اتصالها هذا . ويفتقر كثير من كتاب هذا النوع إلى رؤية شاملة ذات أبعاد إنسانية ، فقد تكون لديهم المادة المطلوب تقديمها ، ولكنهم في حاجة إلى أساليب لإيصال تلك المادة . وهم لا يدركون أن الأمر يتطلب اطلاعاً واسعاً على ما يقدم للأطفال في العالم ، وهذا ليس أمراً سهلاً ، ولكنه ضروري .

بعد أن تحدثت باختصار عن أنواع من ثقافة الأطفال سائدة ، أشير إلى أمر آخر يرتبط بالموضوع وهو النشر . ولن أتحدث عن النشر بل أتركه لبشير الهاشمي فهو خير من يتناول جانباً من عملية النشر . يقول الهاشمي : « فالناشر هو صاحب القول الفصل في مادة النشر التي كثيراً ما يختارها من منظور تجاري بحت ، وكثيراً أيضاً ما يتدخل باقتراح الاستكتاب في مواضيع يعتبرها مطلوبة في السوق وسريعة الرواج ، وهي عادة ما تكون محدودة القيمة من ناحية مضمونها ومحتواها . وليس أدل على ذلك من مجموعة السلاسل التي ظهرت تباعاً في السبعينات وبتشابه وتقليد واضحين وبمنافسة حامية بين عدد من دور النشر العربية ، منها ما يحمل عنوان (أبطال العرب) وأخرى (رجالات العرب) وغيرها من (نوابغ العرب) وسلاسل أخرى غيرها استنفدت رجالات التاريخ الإسلامي والرسول والصحابة وحكماء الإسلام وقادة العرب معتمدة على سهولة التناول تبعاً لسهولة السعر وبساطة التكاليف ، وفي أغلبها تكون ضعيفة المضمون ومبتورة المعلومات وغير كافية الاستيفاء لأنها تأتي في عجلة وتسرع بين ناشر متعجل للطرح في السوق وبين عدد من الأسماء يتعامل معها بالقطعة دون النظر إلى أي تخصصات أو قدرات فكرية وأدبية مالكة لزمامها وإمكانياتها في الموضوع المطلوب وقادرة على تغطية متكاملة له» .[3]

إن ما ورد يعبّر تعبيراً صادقاً عن واقع مؤلم للنشر ، وهو أمر يتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع ثقافة الأطفال ، ويؤكد على أهمية وجود دار تضع في اعتبارها أن عملها رسالة وليس صفقة أو صفقات تجارية تدر عليها أرباحاً .

الثقافة المرجوة

إذا كان الاهتمام بالكتاب يأخذ النصيب الأوفر في هذه الثقافة

المرجوة ، فإن الأمر لا يعني أبداً تجاهل أوعية المعرفة الأخرى ، وخاصة السمعية والبصرية ، ولكن لا بد من العناية بالكتاب حتى يأخذ مكانته اللائقة به بعد أن نراجع الاهتمام به تراجعاً خطيراً في أيامنا هذه .

في الواقع العملي ما عاد البيت يولي الطفل عناية مطلوبة ، وخاصة ما يتعلق بأمر تثقيفه . فالوالدان ، لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، يتركان الطفل وحده أمام جهاز التلفاز أو مع خادمة أو في روضة . وهذا ينطبق بشكل أساسي على أطفال ما قبل المدرسة . ولعل البيت لا يدرك أن مرحلة طفل ما قبل المدرسة هي أدق مرحلة في حياته حيث تتكون شخصيته على عدة صعد .

إننا نريد أجيالاً تهتم بالكتاب وترعاه وتحرص عليه حتى تستطيع هي بدورها أن تنكبَّ على العلوم بصبر وصدق وإخلاص ومثابرة وتعيد سيرة الأجداد البررة الذين ملأوا الدنيا بعلمهم وجهادهم ومنهم تعلمت الأمم .

التوجه للأطفال

لا يكون التوجه للأطفال بألوان الأدب المختلفة من قصة وأنشودة (قصيدة) ومسرحية ومقالة فقط ، وعلى الرغم من أهمية تلك الأشكال الأدبية في التأثير ، لا بد من الاهتمام بمختلف المعارف الإنسانية تقدم للطفل حتى يكون قادراً فعلاً على مواجهة العالم بخلقه وعلمه .

إن الاهتمام بتقديم مساهمات علماء هذه الأمة في كافة جوانب المعرفة يجب أن يأخذ دوره الأساسي ويجب أن يعطى أولوية في التوجه ، مع الاهتمام الشديد بأن تكون بين الطفل والمادة صلة قوية . المادة لا تتناول الماضي فقط ، بل تنقل الطفل إلى حاضره ليكون على مستوى عطاء العلماء ، وتأخذه إلى المستقبل لتبين له أهمية عطائه الصادق . أورد هنا مثلاً جيداً على المقصود بربط الماضي بالحاضر والمستقبل . المثل هو من كتاب «أبو بكر الرازي »[4] الذي يقدم نموذجاً متفرداً في التعامل مع مساهمات العلماء .[5] يشعر الفتى القارىء لهذا الكتاب منذ اللحظة الأولى أن مساهمات أجداده الصالحين ليست من الماضي الذي نتغنى به دون أن يكون له دور إيجابي . فهذا الدور الإيجابي هو ما نريده عند التعامل مع إنجازات السلف .[6]

نريد لأبنائنا أن يحسوا على الدوام وهم يقرأون إنجازات الأجداد بأن لهم دوراً في النهوض بأمتهم والارتفاع بها ، وهو دور لا يقل عن دور أجدادهم الذي نصروا الحق فنصرهم الحق وأيدهم .

موسوعة الأطفال

طفلنا في حاجة إلى موسوعة «علمية» نشعر بالرضى ونحن نراه يتصفحها ، بعد أن شعرنا بالقلق والخوف ونحن نراه يتصفح موسوعات أجنبية .[7] الموسوعة المطلوبة ذات رؤية شاملة لا تترك صغيرة أو كبيرة دون أن توردها من حاجة الطفل والسن الموجهة له ، مع الاهتمام بالحضارة العربية الإسلامية بكافة جوانبها .

ولا أقول إن هذا عمل سهل ، بل هو جهد كبير قد يستغرق سنوات من الإعداد والدراسة والمثابرة والمطالعة يتفرغ له المهتمون القادرون على خوض غماره متسلحين بالإيمان . إضافة إلى ما ذكر لا بد من الاهتمام بإخراج الموسوعة إخراجاً لا يقل جودة عما هو قائم في الموسوعات الأخرى التي تتوجه للأطفال . هذا في حد ذاته يشكل تحدياً كبيراً آخر للمعنيين في الدار المقترحة . ولتكن هناك همة لتجديد الموسوعة بين فترة وأخرى بالإضافة والحذف والتعديل . وهذا يعني تخصيص مجموعة عاملة تتابع أمر الموسوعة .

مطبوعات دورية

إضافة إلى إصدار مجلة ثقافية تراعي مراحل الطفل العمرية ، وخاصة مرحلة ما قبل المدرسة التي ما تزال غائبة عن اهتمام المعنيين بشؤون ثقافة الأطفال بشكل عام ، بمعنى أن تتفرّع المجلة إلى مجلتين أو أكثر للتوجه لكافة مراحل الأطفال ، تسعى الدار إلى إصدار مطبوعات تتناول موضوعات منوعة تثير اهتمام الأطفال وتوجههم وتعلمهم وتربيهم . تتناول هذه الموضوعات الشاملة كافة جوانب الحياة ، مع الاهتمام بالعالم الإسلامي وقضاياه وجوانب الحضارة العربية الإسلامية في كافة العصور .

وتختلف هذه المطبوعات عن الكتب ، وإن كان من الممكن أن تقع ضمن ساحتها ، بمعنى ألا يتبع إصدارها فترة محددة مثل الدورية .

إلى جانب هذا يمكن للدار أن تهتم بأمر الترجمة والإعداد لتقدم الإنتاج العالمي للطفل المسلم ، مع مراعاة استبعاد كل ما هو غير صالح أو نافع أو ما يمكنه أن يؤثر على الطفل والإبقاء على ما يصلح . وهذا جانب مهم في عمل الدار يعكس الرؤية الحضارية ، لأنه يساعد كل من له علاقة في شؤون ثقافة الأطفال ، ويغني تجربتهم الثقافية . فالموضوعية تقتضي منا أن نعترف أن كثيراً من الدول الأجنبية قد حققت تقدماً كبيراً في مجال ثقافة الأطفال . ومن المهم جداً أن نستفيد من تجاربها على أن تكون هذه الاستفادة مقرونة بالوعي فيما نأخذ وفيما نترك ، وعلى أن تكون الأمانة رائدتنا في عملنا الكبير فنعطي صاحب الحق حقه إذا أردنا أن نستفيد من إنتاجه .

التوجه للكبار

ما عاد موضوع مناقشة أهمية أدب الأطفال مطروحاً لأنه

موضوع مسلّم به . فالأمر المهم الآن هو ماذا نقدم من أدب وكيف نقدمه وكيف يمكنه أن يكون ذا تأثير بمعنى الاستفادة منه ؟

هناك أمر أساسي في أدب الأطفال يؤكد على أن الطفل يقدم على الكتاب إذا وجد التشجيع المطلوب والقدوة . والكبير هو القدوة الحسنة للصغير[٨] . الكبير هو من يمنح التشجيع ، وإلا فما جدوى إنتاج مئات المطبوعات إذا لم تتم الاستفادة منها ؟ ليس يكفي أن نقدم إنتاجاً متميزاً في أدب الأطفال ونتركه في مخازن الكتب أو المكتبات دون أن يستفاد منه . وأورد هنا نموذجين تطبيقيين عن دور الكبار في توجيه الأطفال والفتيان إلى أهمية الكتاب والأسلوب المتبع في هذا ، مع التأكيد على أهمية البحث والسعي نحو المعرفة .

المثال الأول عن عمل ريادي قامت به أمينة مكتبة أطفال . كانت أمينة المكتبة تدرك كل الإدراك أن ابتعاد الطفل عن المكتبة والقراءة والكتاب تقع مسئووليته على الكبار . لقد عرفت المشكلة ولم تتوقف عندها ، بل أخذت على عاتقها أن تجد الحل المناسب . خرجت من المكتبة إلى كل مكان عام يمكن أن يوجد فيه أطفال مثل حديقة عامة أو متنزه أو مركز اجتماعي ، وراحت تسرد القصص لتجذب اهتمام الأطفال[٩] .

النموذج الآخر يرتبط بالتعليم . فللمعلم دور أساسي في تشجيع الطفل على الاهتمام بالكتاب ، وقد يبدو الأمر أبسط مما نتصوره خاصة عندما نعرف أن التعليم في حد ذاته يتعامل مع الكتاب . ولكن لا نستطيع أن نغفل حقيقة مهمة ، وهي أن التعليم نفسه ما زال غير قادر على أن يحقق هدفاً مرجواً وهو غرس حب المعرفة في الطفل . والسبب أن كثيراً من المعلمين يعتبرون التربية مجرد «مهنة» ، مثلها مثل أي مهنة . ولا يدركون أنها رسالة وأن عملهم إذا ما أحسن أداؤه يعتبر أفضل بناء في المجتمع . وهو بناء الأساس المتين القوي الذي يقوم عليه البنيان كله . فالمعلم قدوة حسنة للطفل أيضاً ، مثل والدي الطفل .

ويأخذنا النموذج الآخر إلى مدرسة : طلبت معلمة من طلابها إعداد مشروع تحت عنوان «كيف كنا نعيش» . كان المشروع مطروحاً كمسابقة يدخلها الطلاب تشجيعاً لهم على البحث . فكيف كان المنحى الذي تبناه الطلاب بإشراف معلمتهم وهم يتناولون فترة من التاريخ غير البعيد (الفترة ما بين ١٩٠٢ و ١٩٢٦) ؟ اهتم الطلاب بالبحث في وثائق تاريخية محفوظة في مكتبات ومؤسسات لها صلة بالموضوع ، إضافة إلى مقابلة الأجداد الذين تحدثوا عن تلك الفترة . كان على الطلاب أيضاً أن يزوروا متاحف الفن والسيارات ، كما توجب عليهم زيارة قسم خاص في المنطقة يحفظ سجلات تاريخية ذات قيمة بالنسبة لعملهم[١٠] .

إنما أوردت المثالين لأبين للقارىء الكريم الاهتمام الكبير الذي يوليه الأجانب لأطفالهم والحرص الشديد على تربيتهم . وأراني لا أمَلّ وأنا أتحدث عن هذا الموضوع بالذات ، لأن هذا يكشف الوضع الراهن الذي نعيشه بشأن تربية أطفالنا ، في حين أننا يجب أن نكون السبّاقين وأن نكون قدوة حسنة صالحة لغيرنا .

إن إنتاجهم الزاخر الغني في أدب الأطفال يعكس مدى اهتمامهم . إنتاجهم هذا يشمل المعارف الإنسانية ويجد له طرقاً وأساليب للاستفادة منه . وهم يتحركون إزاء مشكلات كثيرة تواجههم في مجال ترويج ثقافة الأطفال ؛ فإذا ما وجدوا إعراض الأطفال عن القراءة والاهتمام بالكتب ، أخذوا يسألون حتى يصلوا إلى حلول ، فقد يكون البيت مسؤولاً عن الوضع .. فتعقد لقاءات مع أولياء الأمور بالتعاون ما بين البيت والمدرسة ومكتبة الأطفال[١١] . وتؤسس مجموعات خاصة للعناية بالأمر ، وتتسع دائرة الاهتمام فيكون للبيت دور متميز بعد أن كان على الهامش[١٢] .

وهكذا تتم الاستفادة مما ينتج ، وهكذا يتحول الكتاب غير المنهجي في حياة الطفل إلى كتاب مهم في بيته وفي مدرسته . ولا يفوتني أن أنوه في هذا المقام إلى أن نوعية التعليم تؤثر على التعامل مع الكتاب غير المنهجي[١٣] . ففي بلاد لا يتم الاعتماد على كتاب واحد للمادة ، إذ إن هناك ما يسمى بمصطلح ''Project'' وهو «مشروع» . هذا الأسلوب يدفع الطالب إلى آفاق أرحب مما هو في هذا الكتاب الواحد المقرر للمادة الدراسية عن طريق الاستعانة بكتب أخرى ، وبأوعية معرفية أخرى والاستفادة من الواقع إذا لزم الأمر عند تناول أي موضوع في المادة .

إن توجه الدار المرجوة نحو الكبار يأخذ روافد عدة ، فهناك البيت والمدرسة ومكتبة الأطفال والمراكز الثقافية والاجتماعية التي ترعى الأطفال ، إضافة إلى المؤسسات العامة والخاصة التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتربيتهم .

ولا بد من مخاطبة البيت والمدرسة ومكتبة الأطفال بكافة الوسائل والأساليب . لا بد أن يهتم الوالدان اهتماماً كبيراً بتربية طفلهما التربية الصالحة ، وخاصة في تلك المرحلة المبكرة التي تعد مرحلة دقيقة وحاسمة في حياته ، وهي المرحلة المسماة مرحلة ما قبل المدرسة . ومن ضمن هذا الاهتمام التأكيد على دور الكتاب وأهمية أن يكون مؤثراً فاعلاً في حياة الطفل ، بحيث تنشأ بين الطفل والكتاب علاقة حميمة وطيدة يحس فيها الطفل أنه لا يمكنه أن يستغني عنه .

لا بد أن يهتم المعلم بالطفل والفتى على أسس أخلاقية روحية ثقافية تهدف إلى خير الأمة . فالمعلم ليس مجرد موظف يؤدي أي

عمل مثله مثل أيِّ مَنْ يمتهن مهنة فيؤديها . إنه أمام رسالة .. وهو يتحمل مسؤولية ملقاة على عاتقه . فمن الضروري أن يؤدي الأمانة على أكمل وجه . من هذا المنطلق الملتزم بعمله يجب على المعلم أن يبتكر كل وسيلة ويستخدم كل أسلوب لترغيب الطفل والفتى في الكتاب ، سواء أكان هذا ما يتم عن طريق التعليم والمنهاج أو عن طريق نشاطات مدرسية منوعة . وقد تبين أن اهتمام الطفل والفتى بالكتاب والتعليم والتعلّم يكون أقوى وأثبت عن طريق نشاطات مختلفة يحس فيها الطالب أنه يؤدي عملاً يحبه دون أن يكون ملزماً على أدائه .

لمكتبة الأطفال دور لا يقل أهمية أبداً عن دور البيت والمدرسة . وفي حالات يكون دور المكتبة كبيراً في غياب اهتمام البيت أو اهتمام المدرسة أو في غيابهما معاً[١٤] . من هنا تبرز مسؤولية أمينة المكتبة في مجال التربية . فهي لا تكتفي بالجلوس خلف مكتبها تدير المكتبة أو تراقب الأطفال وتقوم بخدمة الإعارة معتقدة أن هذا هو عملها . إن عملها يتجاوز هذه الأمور ، على الرغم من أهميتها ، ليكون للمكتبة تأثير كبير في حياة الطفل . وما النشاطات المختلفة التي تقوم بها المكتبة إلا جانب من جوانب الاهتمام بالطفل وغرس حب الكتاب في نفسه[١٥] .

من هذه المنطلقات تتحرك الدار المرجوة لتخاطب البيت والمدرسة ومكتبة الأطفال ، وتحاول جهدها أن تقيم صلات ألفة وتعاون حتى يكون العمل مثمراً .

اهتمام أكبر بالبيت والمدرسة

إلى كل أولئك تتوجه الدار بمطبوعات دورية أو غير دورية منوعة تراعي فيها المستوى الثقافي والاجتماعي ، مع أهمية الاهتمام بفئات المجتمع التي حرمت من مستوى ثقافي مقبول يعين الطفل في بيته .

ويبدو أن الأمر متشعب ومتداخل ، وكأنما واجب الدار يقترب من عمليات محو الأمية لفئات من المجتمع حرمت نصيباً من العلم . ولم لا يكون هذا إذا كانت العناية تحقيق الخير للأمة .

الدار والحال هذه لا تقتصر على مجال النشر حتى لا تتحول مطبوعاتها إلى المخازن فيضيع كثير من جهودها التي طالما تمنيناها .

وعمل الدار تربوي ثقافي تعليمي يتعدى أمر النشر إلى أمر التوعية نفسها . فلا بد من وجود أشخاص قادرين مهتمين متحمسين مندفعين يسعون إلى نشر الوعي والاهتمام الجاد بالكتاب والقراءة عند الكبار والصغار على حد سواء .

وتقوم الدار بإصدار مطبوعات خاصة بكل ما يتصل بثقافة الطفل ، تتوجه للكبار : دراسات تتعلق بأدب الأطفال ونشرات توعية بأهمية القراءة وما يرتبط فيها إضافة إلى قوائم ببليوجرافية عن موضوعات معينة تعين كل منهم .

ولا مانع لو قامت الدار بإصدار مجلة إلى المهتمين في أمور تربية الطفل ، وإن كانت هذه تأخذ الطابع التخصصي إلى حد ما فتخاطب البيت والمدرسة والمكتبة بشكل أساسي . ويمكن أن تتفرع المجلة إلى مجلتين ، مجلة خاصة بتربية الأطفال وأخرى خاصة بتربية الفتيان ، كما يمكن إيجاد مجلة أو نشرة مرافقة لأطفال ما قبل المدرسة .

ويحضرني في هذا المقام عمل متميز لمؤسسة أجنبية Scholastic تخصص مجلتين : واحدة لمربي الأطفال وعنوانها «Child Education» والأخرى لمربي الفتيان بعنوان «Junior Education» وهاتان المجلتان تغطيان كافة الأمور التربوية الثقافية الخاصة بالموضوع . وكل من يتابع هاتين المجلتين يدرك الاهتمام الكبير في التوجه نحو المربين ، وخاصة المعلمين وأمورهم وقضاياهم .

ولا تكتفي المؤسسة بهذا ، بل تعمد إلى إصدار مطبوعات دورية تحمل عنوان «Infant Projects» وأخرى بعنوان «Junior Projects» وكل من هاتين الدوريتين تعالج موضوعاً معيناً يغطي تغطية حسنة ، مثل الصحراء أو شاطىء البحر أو الأنهار . وتهدف كل دورية إلى مساعدة المعلم في معالجة الموضوع المطروح مع الطلاب عن طريق القيام بعدة نشاطات داخل المدرسة وخارجها .

ومن الأمور المهمة في كل دورية طرح قائمة بعناوين كتب مهمة تساعد في الموضوع . وهذا ينقل الطالب ، طفلاً أو فتى ، من الكتاب المنهجي الواحد إلى كتب غير منهجية . وتتميز هذه الكتب بشكل عام بمادة جيدة التأليف أو الإعداد ومواد توضيحية متفردة وإخراج فني جيد . ولعل هذا أحد الأسباب الذي يجعل من كتب الأطفال رائجة تقدم عليها دور النشر بعيداً عن الهدف الاقتصادي البحت .

دار تتجه نحوها الأنظار

سبق أن ذكرت أن على الدار أن تهتم بترجمة وإعداد ما يقدم للأطفال عند الأمم الأخرى . وهذا يقودنا إلى أن تصبح الدار مركزاً لأهم ما ينتج في مجال ثقافة الأطفال في العالم . وأمر كهذا يحتاج إلى متابعة ما ينتج في العالم والحصول على أفضله وأنسبه . وكذلك تهتم الدار باقتناء دراسات عن أدب الأطفال ومتابعة ما يصدر عن ثقافة الأطفال في الدوريات العامة والمتخصصة باللغات المختلفة لترجمة وإعداد ما هو مهم . وبهذا تصبح الدار بعون الله وفضله مركزاً متميزاً يزوّد المهتمين بقوائم ببليوجرافية ومستخلصات وغيرها من

أدوات البحث والدراسة المتخصصة .

خاتمة

ما ذكر كان مجرد نماذج عما يمكن للدار المرجوة أن تحققه ، وهو لا يمثل كل ما تقدمه ، فالموضوع أكبر من أن يقدم في دراسة مثل هذه ، ولكن المهم أن يلتفت القائمون على ثقافة الأطفال إلى الأمر ، وأي تأجيل لن يكون لصالح الأمة ، لأن الغزو الفكري في الخارج والداخل كبير وقوي يحتاج إلى بنيان متين الأركان . ولا يفهم من هذا أن الدار ستكون رد فعل على هذا الغزو وعلى كل ما يتعرض له أطفالنا من هجوم ثقافي فكري يحاول محاربة قيم الأمة ؛ بل هي محصّلة طبيعية لحياة هذه الأمة وثمرة طيبة من شجرتها المباركة . والله اسأل أن يهدي الأمة سبيل الرشاد حتى تكون كما شاء لها الحق عز وجل خير أمة .

الهوامش

١ ــ انظر على سبيل المثال «روايات تاريخ الإسلام للفتيان والفتيات» وهى سلسلة روايات تأليف جورجي زيدان وإعداد محمود سالم .ــ بيروت : المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٧٨ .

٢ ــ انظر على سبيل المثال سلسلة «قصص الخلفاء الراشدين» أرقام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ عن الخليفة عثمان بن عفان لعبد الحميد جودة السحار .ــ القاهرة ، مكتبة مصر ، [ــ ١٩] .

٣ ــ بشير الهاشمي . واقع الكتاب فى السبعينات وآفاقه فى الثمانينات ، المجلة العربية للثقافة عدد ٤ مجلد ٣ آذار ١٩٨٣ ص ١٨ .

٤ ــ منذ الشعار ؛ رسوم طالب مكي .ــ أبو بكر الرازي .ــ بغداد ، دار ثقافة الأطفال ، ١٩٨١ .ــ السلسلة التاريخية ؛ ١٦

٥ ــ محمد بسام ملص . كتب دار ثقافة الأطفال العراقية عالم الكتب مجلد ٣ عدد ٤ ربيع الآخر ١٤٠٣/كانون ثان ــ شباط ١٩٨٣ م ص ٦٥٤ ــ ٦٥٥ .

٦ ــ محمد بسام ملص ، التاريخ الإسلامي وأطفالنا رسالة الخليج العربي سنة ٧ عدد ٢٢ ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م ص ٣٩ .

٧ ــ انظر الموسوعة البريطانية ــ Macmillan's Children'sEncyclopedia.__ 2nd. ed. __ : Macmillan, 1980

وموضوعات مثل القدس Jerusalem vol. 2 p. 738

والإسلام Islam vol. 1 p. 49

والديانات Regligions vol. 1 p. 48

ومحمد صلى الله عليه وسلم Mohammed vol. 1 p. 456

٨ ــ محمد بسام ملص . الكتاب والأطفال .ــ الرياض : دار ثقيف ، ١٩٨٤ م ص ١٣ .

9 - Hill, Janet.Children are people: The librarian in the community London : Hamish Hamilton, 1973 p. 58

10 - Jones, Joan.How we used to learn **Junior Education** vol. 11 no. 8 August 1987 p. 18

11 - obrist, Cecilia.How to run family reading groups.- [s.1.] : United Kingdom Reading Association, 1987 p. 4

١٢ ــ انظر على سبيل المثال :

A - Branston, Peter & Provis, Mark Children and parents enjoying reading.- Sevenoaks : Hodder & Stoughten, 1986

B - Morgan, Roger Helping children read : The paired reading handbook .- London: Methuen, 1986

C - Ray, Sheila.Children's librarianship.- London : Clive Bingley, 1979

31 - Ray, Colin.Library service to schools and children.- Paris : Unesco, 1979 p. 98-99

١٤ ــ محمد بسام ملص . الكتاب والأطفال ، المرجع السابق ص ٣٢

15 - Ray, Sheila.Children's librarianship op. cit. p. 85-94

تنقل مصادر تاريخية وأدبية مختلفة أن مكتبة «بريل» في مدينة «ليدن» بهولندا، اشترت في عام ١٨٨٣ م، أكثر من ٦٠٠[١] مخطوطة، من العالم العربي المسلم «أمين بن حسن المدني» فمن هذه الشخصية التي قامت بنقل هذه المخطوطات إلى ذلك البلد الأوروبي ؟ ... وما هي العوامل التي دفعتها للقيام بمثل هذا العمل ؟ .. وما قيمة هذه المخطوطات العلمية التي تم شراؤها من قبل هذه المكتبة التي اشتهرت بقسمها العربي المختص باقتناء ونشر الكتب والمخطوطات العربية منذ عام ١٩٨٣ م ؟ ..

شخصية أمين بن حسن الحلواني المدني

يشير مؤرخ المدينة المنورة في القرن الثاني عشر «عبد الرحمن الأنصاري» إلى هِجْرة أسرة تُدعى بأسرة «الحلواني» من «الهند» إلى «المدينة» في تلك الحقبة التاريخية، حيث قدم الشيخ «محمد أمين الهندي الكشميري الحلواني» سنة ١١٤٠ هـ، ويصفه الأنصاري قائلاً «وكان رجلاً، كاملاً، عاقلاً، صاحب ثروة» ..[٢]

ولا أعلم إذا ما كانت الشخصية التي نحن بصددها تنتمي إلى هذه الأسرة أم لا ؟ .. كما أنه ليس من دليل يؤكد أو ينفي انتماءه إلى الأسرة التي تحمل الاسم نفسه في الوقت الحاضر، والتي ما زال عدد من أفرادها يعيش في المدينة المنورة.

أما «أمين الحلواني» فلا نجد خيراً من «محب الدين الخطيب» ـــ رحمه الله ـــ ليحدثنا عنه، وعن اتجاهه العلمي وإنتاجه الأدبي، حديثاً مفصلاً في تحقيقه للكتاب الذي اختصره «الحلواني» وهو «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود»[٣] لعثمان ابن سند البصري الوائلي[٤]، يقول «الخطيب» في حديثه عن «الحلواني» : (عالم من أهل المدينة، كان والده من أعيانها وأفاضلها حتى إن «الشريف عبد الله بن عون»[٥]، أمير مكة، أوفده في سنة ١٢٧٩ هـ إلى أمير نجد «فيصل بن تركي»[٦]، لينصح له بإعادة الخراج المرتب عليه للدولة العثمانية، فنجح الشيخ «حسن الحلواني» في مهمته، وكان موضع التجلة والإكرام من أمير نجد، وقد نشأ الشيخ أمين في طلب العلم، واقتناء المصنفات الجيدة، ولا سيما المخطوطة، وقام بالتدريس في الحرم النبوي الشريف[٧]. ولعل عبارة وردت في الكتاب الذي اختصره «مطالع السعود» تدل على طلبه للعلم في الجامع الأزهر بمصر، حيث التقى هناك بالشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الوهاب[٨] ـــ رحمه الله ـــ ودوّن ذلك قائلاً «وأما الشيخ عبد الرحمن المذكور فقد أدركته في الجامع الأزهر، يدرس مذهب الحنابلة، وكان شيخ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣ هـ وتوفي سنة ١٣٧٤ هـ وكان عالماً، فقيهاً، ذا سمت حسن يظهر عليه التقوى والصلاح»[٩]، ولا يستبعد تأثر الشيخ الحلواني بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية بعد التقائه بابنه الشيخ عبد الرحمن ـــ رحمهما الله ـــ لما يعكسه اسم أحد مؤلفاته الذي ظهر في سنة ١٣١٢ هـ تحت عنوان «السيول المغرقة على الصواعق المحرقة»).

ويذكر الخطيب أن الكتاب ردّ على السيد أحمد سعد المدني[١٠] من المنتمين إلى طريقة الشيخ أبي الهدى الصيادي[١١]، لكن الشيخ أمين الحلواني لم يصرح في هذا الرد باسمه وانتحل اسماً مستعاراً هو «عبد الباسط المنوفي»[١٢].

إنتاج الحلواني العلمي والأدبي :

لقد اشتهر الحلواني باختصاره لكتاب «مطالع السعود» الذي يشتمل على أخبار بغداد من سنة ١١٨٨ ـــ ١٢٤٢ هـ/١٧٧٤ ـــ ١٨٢٦ م[١٣]، وقد نشره الحلواني في بومباي بالهند سنة ١٣٠٤/١٨٨٦[١٤]، ثم أعاد نشره محب الدين الخطيب في القاهرة

سنة ١٣٧١ هـ/١٩٥٣ م[١٥] وقد اشتملت مقدمة الكتاب على ترجمة «لعثمان بن سند البصري» قام بكتابتها «محمد بهجة الأثري» ، وترجمة «لأمين الحلواني» ، فصل فيها محقق المختصر «الخطيب» جوانب من حياة «الحلواني» ، ملقياً الضوء على مشاركته العلمية في جوانب متعددة من تراثنا الإسلامي والعربي ، ويظهر أن «الحلواني» اهتم بتاريخ «ابن سند» هذا فاستنسخ عدة نسخ منه ، كالنسخة التي توجد في المكتبة العباسية بالبصرة ، التي فرغ منها في «قصبة الزبير» آخر ذي الحجة ١٢٦٦ هـ في ٢٧٧ صفحة ، ونسخة ثالثة بمكتبة المرحوم «إبراهيم الدروبي» ، وجميع هذه النسخ بخط الحلواني[١٦] .

وللحلواني كتاب ينقد فيه مؤلفات «جورجي زيدان»[١٧] التاريخية ظهر في الهند سنة ١٣٠٧ هـ/١٨٨٩ م ، تحت عنوان «نشر الهذيان من تاريخ جورجي زيدان[١٨]» ، ولقد رد «زيدان» على كتاب «الحلواني» هذا برسالة سماها «ردّ رنان على نبش الهذيان» ، وطبعت سنة ١٣٠٩ هـ/١٨٩١[١٩] ، كما قام الحلواني بطبع ديوان «لزوم مالايلزم» .. «لأحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري» في الهند سنة ١٣٠٣ هـ/١٨٨٥ م .

ويظهر أن «الحلواني» قام بكتابة ترجمة عن حياة «أبي العلاء» وبعض الشروح والتعليقات على عمله الأدبي المعروف «باللزوميات»[٢٠] .. كما ألف رسالة صغيرة في علم الفلاحة التي دعاها «جني النحلة في كيفية غرس النخلة» ويظن «الخطيب» أن «الحلواني» ألف هذه الرسالة في مصر سنة ١٣٠١ هـ/١٨٨٣ م ، ليرشد المشتغلين فيها بالزراعة إلى تجارب أهل المدينة التي اقتبسوها من أهل القصيم في نجد ، مثل بريدة وعنيزة والرس ، والقائمين على تربيتها ورعايتها[٢١] . ولعل حياة الحلواني في المدينة اتصلت بشيء من أحوال الزراعة «فحمد الجاسر» يحدثنا أن الحلواني كان يسكن في المدينة في دار مطلة على الحديقة العينية[٢٢].

صلة الحلواني بمحمد محمود التركزي الشنقيطي[٢٣] :

يذكر محب الدين الخطيب أن العامل وراء نزوح الحلواني من المدينة هو تأليفه في سنة ١٢٩٢ هـ/١٨٧٥ م-، لرسالة ينكر فيها صحة المخلّفات النبوية التي كانت الدولة العثمانية تتقرب إلى العامة بدعوى الحيازة لها والاحتفال بها في مواكب دورية أو غير دورية ، وعلى إثر ذلك قام الحلواني برحلة إلى مصر وبعض بلاد الشرق العربي ، وفي مصر اتصل بالعلامة التركزي الشنقيطي ، فأخذ عنه واستفاد منه[٢٤]. إلا أن نصوصاً أخرى تثبت أن علاقته العلمية بالشنقيطي تمّت قبل هذا الوقت ، ويبدو أن الحلواني لم يغادر المدينة قبل نهاية ١٢٩٩ هـ/١٨٨١ م ، وهي السنة التي استنسخ فيها نسخة من شعر أبي المحجن بأسره «رواية أبي يوسف يعقوب السكيت ، ثم أبي سعيد السكري ، وأبي الحسن الطوسي ، حيث كتبها الحلواني في المدينة المنورة في الثالث من ذي القعدة سنة ١٢٩٩ هـ ، وعلق الحلواني في نهاية هذه النسخة أنه نقلها من نسخة «بخط أديب زمانه ووحيد عصره الشيخ محمد محمود التلاميد الشنقيطي ، وهو نقل من خط ياقوت ولفظه ...»[٢٥].

ويذكر «الجاسر» نصاً آخر يؤكد هذه العلاقة التي تمت في المدينة المنورة بين «الحلواني» و «الشنقيطي» في سنة ١٢٩٩ هـ ، وقد نقل الجاسر هذا النصّ من طرة المخطوطة رقم ٢٢ ش «تاريخ» من كتاب «عمود النسب» الموجودة بدار الكتب المصرية ، وهو بخط الحلواني الذي أثبت قراءته للكتاب على الشنقيطي قائلاً : (قرأت هذا الكتاب «عمود النسب» للفهامة أحمد البدوي قراءة ضبط وتحرير ، دراية ورواية ، فأوضحت مشكله ، وأعربت مغفله ، وبيّنت مبهمه ، وفصلت مجمعه ، على شيخنا وأستاذنا علامة فنّ اللغة والأنساب ، وفهّامة علم سيرة النبي والأصحاب ، إمام الحرمين بلا مدافع ، سيدنا النسابة الشيخ محمد محمود الشنقيطي العبشمي — أمتع الله بحياته — في مجالس منها في روضة النبي — صلى الله عليه وسلم — «ومنها في داري المطلة على الحديقة العينية» وآخر مجلس وبه تم الكتاب في بيته — حرسه الله — في حارة الآغوات بقرب منهل العين الزرقاء) .

وفي ظني أن هذه النسخة غدت من النسخ التي يعوّل عليها ، ويرجع في المعضلات إليها . وكتبه الفقير إليه تعالى أمين بن حسن الحلواني المدني خادم العلم بالروضة المطهرة ، في غرة رجب سنة تسع وتسعين بعد المائتين والألف من هجرة سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم —[٢٦].

وقبل أن نتحدث عن رحلة الحلواني إلى البلاد الأوروبية ، فإنه من الضروري أن نتحدث عن رحلة التركزي إلى هذه البلاد ، ما دمنا بصدد الحديث عن العلاقة العلمية التي ربطت بين هذين الشخصيتين ، التي تركت بصماتها الواضحة على ما أبدعاه من إنتاج وما أدياه من جهد .

رحلة التركزي :

يذكر «التركزي» — نفسه — أن ملك السويد والنرويج «أسكار الثاني» أرسل إلى السلطان «عبد الحميد الثاني[٢٧]» عام ١٣٠٦ هـ/١٨٨٨ م ، مبدياً رغبته في أن يقوم الشيخ التركزي الشنقيطي بحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة استكهولم[٢٨]، ولقد قام سفير السويد بمصر في ذلك الوقت «الكونت كارلودي لندبرج[٢٩]» بالإشراف على متطلبات الرحلة ، حيث اشترط الشنقيطي عدة شروط قبل القيام برحلته ..

منها : أن يكون توجهه بصفة ترفع شأن الإسلام وأهله ، بأن ينتخب ثلاثة أو أربعة من أهل العلم بالعربية ، ويستصحب مؤذناً وطهاة مسلمين .. كما طلب السفير المذكور أن يقوم الشنقيطي بإنشاء قصيدة على أسلوب شعر العرب السابقين ، لا على أسلوب شعر الشعراء في تلك الحقبة» .

ولقد قام الشنقيطي بإنشاء القصيدة المطلوبة ، ولكنه لم يحضر المؤتمر[٣٠] لعدم تنفيذ المسئولين في الدولة العثمانية ــ في ذلك الوقت ــ مقترحاته التي اشترطها عليهم قبل القيام بالرحلة نفسها .

لقد قاربت القصيدة التي أنشأها شاعرنا لإلقائها في ذلك المؤتمر الاستشراقي حوالي مائتي بيت من الشعر الرصين ، وافتتحها كما يفتتح شعراء العرب القدامى قصائدهم قائلاً[٣١]:

ألا طرقت مي فَتَى مطلع النجم
غريباً عن الأوطان في أمم العجم
منافِيَّة زارت على شحط دارها
خِدَبّاً ، مذَبّاً ، عن قريش وعن دعمي
فتاة ضياءُ الشمس ضوء جبينها
حصان ، رزان ، عَبْلَة ، بضَّةُ الجسم
إذا غاب عنها البعل حيناً تحدّرت
ويرضيه نيل اللثم إن آب والشّم
تصافحه عند اللقى بأنامل
سباط البنان الأغلاظ ولا كُزْم

ويذكر بعد ذلك مأثرة هذا الملك الأوروبي في تبنيه لمثل هذا المؤتمر العلمي :

مآدب كل الناس للطُّعم وحده
ومأدبتا «أسكار» للعِلْمِ والطُّعم
دعا دعوة للعلم عَمَّتْ وخصصت
فأضحى بها «أسكار» يَعْلُو على النّجم
دعا الجَفَلَى كل الأنام معمماً
وبالنَّقَرَى كُنْتُ المخصص بالاسْم
عن العرب العرباء آتيك نائباً
وعن أمة الإسلام في العِلْمِ والفَهْم
وفي اللغة الفُصْحَى القريشية التي
بها أُثبت القرآن في الصحف بالرَّسْم
ولم أعتمد إلا على الله وحده
وأبرأ ممن خاض في الغيب بالرجم

ويشير إلى رحلته الطويلة مع العلم ومذاهبه قائلاً :

وما علمت ما علمت بغربنا
ترحلت نحو الشرق بالحزم والعزم
ولم يثن عزمي نَهْيُ حسناء غادة
شبيهة جُمل ، بل بُثَيْنَة ، بل نُعْم
ولم يُغْمِ قلبي حبُّ عذراءَ كاعب
وحبُّ العذارى قد يُصِمُّ وقد يُعْمي
رحلت لجمع العلم والكتب ذاهباً
إلى الله ، أبغي بَسْطَةَ العلم في جسمي

ويعرج في قصيدته هذه أيضاً على ذكر العلاقة العلمية التي تربط بينه وبين «محمد عبده[٣٢]» .

تذكرت من يبكي علي فلم أجد
سوى كُتْب تُختانُ بعديَ أو علمي
وغير الفتى المفتي محمد عبده
الصديقُ الصادقُ الودّ والكلْم

ولعله من المناسب بعد إيرادنا لمقتطفات من قصيدته التي أنشأها لهذا المؤتمر أن نورد شيئاً من قصيدته التي أنشأها أثناء رحلته التي قام بها لبلاد الأندلس سنة ١٣٠٤ هـ/١٨٨٦ م ، للاطلاع على الكتب والمخطوطات العربية ، وفيها يجسد الشاعر تأسيه وحزنه على الوضع الذي آلت إليه هذه الجزيرة الإسلامية ، وما تحتويه من آثار ونفائس علمية :

لكتب أندلس ، ويل لأندلس
وعلم أندلس من بعدما اندرسا
جزيرة العلم والإسلام قبل ، وقد
هدت قواعده بالكفر فارتكسا
وجدت كتباً بها غرا محجلة
منها الحديث ، ومنها الرثّ قد درسا
لكنها في حصون الروم محصنة
فنفعها عن مراد الواقف احتبسا
أمسى حديثاً معاداً اهل أندلس
وأعظماً رقماً كانت هي الرؤسا
علماً وحلماً وأخلاقاً مهذبة
ودين صدق متيناً قيماً أسسا
ونجدة لم تكن لغيرهم ورثت
من «طارق» مذ أذل الكفر [فانتكسا]
ولم يدع ليث كفر شامخاً شمماً
في الغيل يزأر إلا اصطاد وافترسا

وألبس العرب العرباء قاطبة
بفتحها ثوب عزٍّ قبل ما لبسا
أعدها جنة للمسلمين زهت
وأثمرت من ثمار الدين ما غرسا
ومذ قرون مضت بالدل أربعة
تمكن الكفر فيها وحده ورسا
وافترّ للشرك منها الثغر مبتسماً
من بعد ما افترّ للتوحيد فانعكسا
فأحصنت فرجها بالكفر مكرهة
وألبست حلية من حليه وكسا
وأصبحت من حلي الإسلام قد عطلت
والدين منقرض، والنور قد طمسا
صارت جوامعها بعد الصلاة بها
على الأذى والخنا موقوفة حبسا
رأيت فيه مصلى المسلمين به
للكافرين غدا إذ جده نغسا
رأيت فيه مقام المؤذنين به
معطلاً من أذان الله مبتئسا
ولا أذان به يدعو العباد إلى
عبادة الله إلا اللغو والجرسا
ولا صلاة به للناس جامعة
إلا المكاء والأنقس من نقسا
فكادت النفس مني غيرة وجوى
تفيض من جمعه الأنجاس والدنسا
والناصر الله أن ييئس، فنصرته
تجيء مستيئساً من بعد ما يئسا

رحلة الحلواني :

يذكر محب الدين الخطيب أن الحلواني ذهب إلى «ليدن» وأمستردام في سنة ١٣٠١ هـ/١٨٨٣ م، بمجموعة من المخطوطات العربية كان اقتناها في السنين السالفة، فابتاعتها منه مكتبة ليدن الغنية بنفائس مخطوطاتها العربية، «ولمخطوطات الحلواني هذه فهرس خاص وضعه المستشرقون ووصفوا فيه مفرداتها[٣٤]».

فهرس مخطوطات مكتبة الحلواني :

تحتوي مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة (The John Rylands University Library of Manchester) على نسخة[٣٥] من هذا الفهرس الذي وضعه المستشرق السويدي «كارلو لاندبرج Carlolandberg» ويحمل اسم «فهرس مخطوطات عربية مأخوذة من مكتبة خاصة بالمدينة» ــ ليدن، بريل، ١٨٨٣ م.

Cataloggue de Manscripts Arabes Provenant D Une Bigliotheque privee A El-Medina Leide-E. J. Brill 1883.

ويقع الفهرس في ١٨٣ صفحة باللغة الفرنسية[٣٦]، إلا أن أسماء الكتب التي تضمنها الفهرس وعددها (٦٦٤) كتاباً ذكرت باللغة العربية، وفي نهايته ذكر واضعه أنه انتهى من عمله في ليدن ٢٠ سبتمبر ١٨٨٣ م.

مقدمة الفهرس :

لقد ابتدأ «لاندبرج» هذه المقدمة بالحديث عن علاقته بالحلواني، وعن الظروف التي دفعته لبيع المخطوطات النادرة التي كانت في حوزته فيقول : (لقد تركت صديقي العالم الجدير جداً بالتقدير الشيخ أمين المدني في القاهرة أثناء شهر فبراير، مغادراً إلى منطقة البدو في غرب دمشق، ولم يكن حينئذ لديه الرغبة في بيع مكتبته، ولكنني رأيته بعد ذلك في أمستردام، عاقداً العزم على بيع كتبه النادرة التي جمعها خلال سنين عديدة، ليتمكن من تنفيذ عقوده التجارية بعد أن تعرضت استثماراته المالية لمضاربة فاشلة، كان خلفها شخص غير أمين، التقى به «الحلواني» في مصر أثناء إقامته بها.

لقد أخذت مؤسسة «بريل» المبادرة واشترت ما عرضه «الحلواني» من كتب، وطلبت مني إعداد فهرس لها في مدة أقصاها شهران من الزمن، إلا أنني رفضت في البداية هذا الطلب من المؤسسة بسبب عامل الوقت الذي حددته لإنجاز هذا العمل، ولكن عرفاني بجميل المؤسسة المتمثل في نشرها لمؤلفاتي .. إضافة إلى توسلها الدائم للقيام بالعمل، دفعاني لأخذ المبادرة في تنفيذه، لقد استغرق عمل هذا الفهرس أقل من شهر، وهذا ما يحملني تقديم العذر عن احتمال ما قد يوجد فيه من أخطاء، فإن السرعة في إنجازه هي العامل الرئيسي وراء ذلك).

ثم ينتقل بعد ذلك «لاندبرج» للحديث عن هذه المخطوطات التي دخلت في حيازة مؤسسة «بريل» :

(تمثل أهمية هذه المجموعة التي تزيد على ٦٠٠ مخطوطة في احتوائها على مؤلفات فريدة من نوعها وغير معروفة حتى في الشرق نفسه، فأهمية المجموعة لا تنبثق فقط من ناحية حب الاستطلاع فقط، ولكن من الناحية العلمية أيضاً، سوف يستغرب أحدنا من وجود سلسلة محترمة من المؤلفات اليمنية في الناحيتين التاريخية والأدبية لبلد لا يعرف عنه إلا القليل، فقبل عشر سنوات من الآن «زمن وضع هذا الفهرس ١٨٨٣ م» .. كان اليمن يعيش حياة تكاد تكون منفصلة عمن سواه، وهي حياة شبه مجهولة حتى في منطقة

قريبة له كالحجاز ، وبالرغم من ذلك ، ففي هذا البلد كانت وما زالت — إلى درجة معينة — تجري حياة علمية نشطة ، ويتمتع أهله بذوق فطري أدبي قلما يتوفر في مكان آخر ، ولقد وجد بين أمرائه — وكانوا كثرة — من يعد من رجال العلم والأدب ، لقد حفظوا هذا الأدب وشجعوا المؤسسات التعليمية فأثمر هذا التشجيع عن انبثاق مجموعة من العلماء ، والشعراء ، والنساخ الأذكياء ، والدليل على ما أذكره هنا هو وفرة الأعمال اليمنية التي تحتوي عليها هذه المجموعة من المخطوطات .

سوف تملأ الأعمال الأدبية اليمنية تلك الثغرات الموجودة في علمنا عن الشرق ، كما ستلقي الوثائق المتخصصة في «القرامطة» ضوءاً جديداً على حياة هذه الفرقة الدينية التي جذبت في وقت سابق كثيراً من الأنصار في الجزيرة العربية ، كما سيجد اليمنيون أن الأعمال المتعددة التي أنتجها «أبو مَخْرِمَة بن المتوكِّل» وغيره من مشهوري رجال اليمن ، قد لعبت دوراً جديراً في حياة اليمن الأدبية والعلمية ، مما يؤهلها أن تكون خير شاهد ومؤرخ لهذا القطر في البلاد الأوربية .

سوف يجد المتخصص في الأدب الغربي متعته في مطالعة مجموعة من الدواوين الشعرية المتجانسة والتي تفتقر إلى وجودها المكتبات الأوربية ، فمن بين هذه الدواوين نسخة كاملة من ديوان الأعشى[٣٨] هذه النسخة وإن لم تتوفر لها المقارنة العلمية اللازمة .. إلا أنها تعتبر اكتشافاً جديداً في عالم الأدب ، كما أن جمهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب[٣٩] سوف تكون معيناً مفيداً للراغب في تحقيق الأدب القديم بصورة كلية أو متفرقة .

إن بعض هذه الوثائق الأدبية تعتبر بحق تحفاً خطية مضبوطة ، بل ولم تترك شيئاً نرغب في وجوده فيها إلا واحتوته .

تمثل هذه المجموعة أيضاً الميدان التاريخي بصورة واسعة ، إلا أنها لم تحتو إلا على القليل في تاريخ المدن المقدسة[٤٠] ، ولكننا نجد نسخة خطية في تاريخ «الذهبي[٤١]» التي سوف يرحب بها المحقق العالم لجزء من تاريخ الطبري ، إن الإنتاج السيري (التراجم) أدى خدمة جليلة في إخراج هذا الفهرس لحيز الوجود فليس من الضروري أن تكون الأعمال الصغيرة أقل أهمية ، حيث إن الناس دائماً يدرسون الرسائل التاريخية المحدودة في سبيل فهم الأعمال الأكثر شمولاً في مادتها .

أما في الجزء المتخصص في مجال الشريعة الإسلامية فإننا نجد نسخة من كتاب «المزي[٤٢]» وهي حسب علمي ربما كانت النسخة الوحيدة في الشرق ، وأغلب المؤلفات في هذا المجال إضافة إلى كتب الأحاديث النبوية هي من ممتلكات علماء من مكة والمدينة ، حسب ما تثبته تصحيحاتهم وتعليقاتهم عليها .

إن سرد وبحث هذه الوثائق النفيسة المتعلقة بحياة العرب الدينية ، والتاريخية ، واللغوية بصورة تفصيلية ، أمر يتطلب كثيراً من الوقت ، وهو ما لا تسمح به ظروف هذا الفهرس المحدد الذي حاولت في مقدمته هذا أن أركز الانتباه على الأعمال الرئيسية ، والتي يتسم بعضها بخلل أو نقص ، ولكن هذه العيوب يعوضها دائماً الوضوح المتوفر في المخطوطات — نفسها — والتي أثبتت مسمياتها وأسماء مؤلفيها حسب ورودها فيها ، وإن احتجت أحياناً الرجوع إلى كتاب حاجي خليفة[٤٣] في طبعته القاهرية ، وحيث إن عدداً وافراً من المخطوطات قام بكتابته مؤلفون عرفوا بشهرتهم التاريخية .. إضافة إلى الرغبة في تشجيع البحث العلمي ، فإنني رأيته مفيداً أن أثبت في نهاية هذا الفهرس قائمة بهذه الأسماء .

أتمنى ألا يعطى هذا الفهرس — أو بالأصح — هذه القائمة ، مقداراً زائداً عن الأهمية الحقيقية التي تستحقها ، فإنني أنشرها مجرداً نفسي من أي ادعاء ، لقد كانت التجربة التي مررت بها خلال معايشتي لهذه المخطوطات قراءة وبحثاً ، تجربة مثيرة تشبه تلك التجربة التي يمر بها البخيل عندما يقوم بمعاينة ثروته ، ولكن ما يجعل هاتين التجربتين غير متكافئتين هو ذلك السؤال الذي كنت أطرحه على نفسي عندما أقوم بوضع الأرقام الخاصة بكل جزء من هذه المجموعة .

إنني لأتجرأ القول متمنياً وأنا في مرحلة انتهائي من العمل في هذه المجموعة من المخطوطات أن ينتهي بها المقام في الأيدي التي تستحقها ، تلك الأيدي التي تنشر من غير تردد أو صعوبة ما تحتويه من علوم نرغب جميعاً في معرفتها[٤٤] .

وصف محتويات الفهرس :

لقد قسم «لاندبرج» المخطوطات التي يحتوي عليها هذا الفهرس إلى **ثلاثة عشر جزءاً وملحقاً** ، معتمداً في تقسيمه هذا على تخصصاتها أو ما تتضمنه من مواد علمية ، وسوف نتعرض هنا لأقسام هذا الفهرس ، مع ذكر نماذج من أسماء مخطوطات كل قسم مقرونة بأسماء مؤلفيها كما أوردها واضعه ، مع الإشارة إلى الأرقام التي وضعت لها في الفهرس نفسه .

الجزء الأول ويشمل ٢٢٨ مخطوطاً ، وقد دعي هذا الجزء **بالمصادر الأولية** ، ومن هذه المصادر الأولية :

* ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ — ٢ .
* الإمام [محمود] العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان — ٣ .
* أبو الحسين أحمد بن فارس : مجمل اللغة — ١٣ .
* أبو الفتح عثمان بن جني : مختصر التصريف الملوكي — ٢٥ .

* مسلم بن الحجاج : الصحيح — ٣١ .
* ابن القيم (محمد أبو بكر بن زرعة) — ٥٣ .
* عبد الرحمن الجبرتي : مدة دخول الفرنسيين بمصر — ٦١ .
* القاضي أبو عبد الله الضبي : أمالي الضبي — ١٢٢ .
* محمد بن عبد الوهاب : رسائل في حكم أحوال القبر والحشر .. في حكم الغيبة والتميمة والفتن التي تحدث .. في حكم خلق الله السموات والأرض .. في حكم الغيظ والحلم — ١٢٤ .
* للمؤلف نفسه : رسالة في مبحث الاجتهاد والتقليد والاختلاف فيهما — ١٢٥ .
* للمؤلف نفسه : العقائد الوهابية — ١٢٦ .
* أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني — في النجاسات المعفوة — ١٢٧ .
* أبو القاسم خلف العباسي الزهراوي الأندلسي : الجزء الثاني من كتب الزهراوي في علم الطب والتشريح وفي الجراحات وغير ذلك — ١٦٩ .
* الحافظ الذهبي : التلويحات في علم القراءات — ١٨٧ .
* أحمد المقريزي : مناقب أحمد بن حنبل — ١٨٨ .
* الخطيب التبريزي : شرح بانت سعاد — ١٩٨ .
* أبو الحسن علي بن الحسين المفسر : الاستدراكات على «ابي علي الفارسي» — ٢٠٧ .
* ديوان الإمام المنصور بالله أبي عبد الله بن حمزة بن سليمان — ٢٢٧ .

الجزء الثاني : (تاريخ) ويشمل هذا الجزء ٧٣ مخطوطاً ، منها :
* ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تاريخ أسماء الصحابة — ٢٢٨ .
* أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال — ٢٣٠ .
* أبو حسن محمد بن عبد الملك الهمداني : مختصر تاريخ الطبري — ٢٣١ .
* السيوطي : لب اللباب في تحرير الأنساب والألقاب — ٢٧٧ .
* السيد أحمد بن معصوم المدني : سلافة العصر في مناقب أهل العصر — ٢٨٦ .

الجزء الثالث (أدب) ويشمل هذا الجزء ١٣١ مخطوطاً ، منها :
* ديوان لبيد بن أبي ربيعة — ٣٠١ .
* ديوان أبي محجن الثقفي — ٣٠٣ .
* ديوان الحطيئة — ٣٠٤ .
* ديوان الحادرة — ٣٠٥ .
* ديوان شماخ بن ضرار — ٣٠٧ .
* ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي — ٣٠٨ .
* ديوان أبي نُواس الحكمي — ٣٠٩ .
* ديوان البحتري — ٣١٢ .
* أبو زكريا يحيى الخطيب التبريزي : شرح ديوان أبي تمام — ٣١٣ .
* ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي — ٣١٦ .
* ديوان علي بن أبي طالب — ٣١٧ .
* ديوان أحمد بن حجر العسقلاني — ٣١٩ .
* أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات — ٣٢٤ .
* محمد بن موسى كامل الدين الدميري : شرح لامية العجم — ٣٩٧ .
* خضر الموصلي : الإسعاف (شرح شواهد الكشاف) — ٤٠٤ .

الجزء الرابع (طب) ويشمل ١٠ مخطوطات ، منها :
* الأزرق اليمني الزبيدي : كتاب الطب — ٤٣٤ .
* أحمد الدمنهوري : منتهى التصريح بمضمون القول الصريح في علم التشريح — ٤٣٦ .

الجزء الخامس (فلك) ويشمل ١٦ مخطوطاً ، منها :
* أبو الفتح الصوفي : كتاب الزيج في علم الفلك — ٤٤١ .

الجزء السادس (علوم) ويشمل ٧ مخطوطات ، منها :
* أبو العباس أحمد بن عبد الله المعروف بابن البنا : كتاب الجبر والمقابلة — ٤٥٧ .
* عثمان بن محمد المرعي : شرح القواعد الوضاحة في علم المساحة — ٤٥٨ .

الجزء السابع (العلوم الروحانية) ويشمل ١٥ مخطوطاً ، منها :
* كامل الدين أبو سالم محمد بن طلحة البسطاني : الدرر المنظم في السر الأعظم — ٤٧٢ .

الجزء الثامن (الكيمياء) ويشمل ٨ مخطوطات منها :
* أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الفيلسوف : كتاب في علم المزاج — ٤٨٤ .

الجزء التاسع (الدراسات القرآنية) ويشمل ١٩ مخطوطاً ، منها :
* السيوطي : الإتقان في علوم القرآن — ٤٨٨ .
* أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري : الكشف والبيان في تفسير القرآن — ٤٨٩ .
* محمد بن أحمد علي الوليد القرشي : البرهان في علوم القرآن من الغريب والإعراب والتفسير والأحكام والناسخ والمنسوخ والاشتقاق من .. ، والوقف وإعداد الآلي — ٤٩٣ .

الجزء العاشر (لغة) ويشمل ٢٧ مخطوطاً ، منها :
* سيبويه : الكتاب — ٥٦ .
* يحيى بن حمزه اليمني : الأزهار الصافية شرح المقدمة الكافية — ٥١١ .
* عبد القادر بن أحمد بن علي الفخري المصري : مجيب النداء إلى شرح الندى — ٥١٢ .
* أبو الحسن المزني : معاني الحروف — ٥٢١ .
* تقي الدين الإسفاريني : اللباب في علم النحو — ٥٢٤ .
* صلاح الدين اليمني : نزهة الطرف في الجار والمجرور والطرف ، وأحكامها ، وتقسيمها — ٥٢٩ .
* للمؤلف نفسه : كتاب الألغاز — ٥٣١ .
الجزء الحادي عشر (بلاغة) ويشمل ٢٢ مخطوطاً ، منها :
* سراج الدين أبو يعقوب السكاكي : القسم الثالث من كتاب المفتاح — ٥٣٤ .
* الشيخ ياسين الحمصي : شرح حاشية التلخيص ، المسمى بالمختصر — ٥٣٩ .
* حسن شلبي الرومي : حاشية المطول — ٥٤٥ .
* لطف الله الأرزني : شرح نهاية الإيجاز في الحقيقة والمجاز — ٥٥٢ .
الجزء الثاني عشر (منطق) ويشمل ٣٨ مخطوطاً ، منها :
* فخر الدين الرازي : الآيات البينات في علم المنطق — ٥٥٧ .
* أحمد بن سليمان كمال باشا : رسالة في الروح — ٥٧٦ .
الجزء الثالث عشر (شريعة) ويشمل ٦٣ مخطوطاً ، منها :
* الشيخ محمد عابد السندي المدني الأنصاري : طوالع الأنوار على الدر المختار — ٥٩٦ .
* الحافظ الذهبي : مختصر تهذيب الكمال — ٦٠٢ .
* أحمد الخلال اليمني : رسالة التحسين والتقبيح — ٦٠٦ .
* شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي : السياسة الشرعية في صلاح الراعي والرعية — ٦٢٤ .
* للمؤلف نفسه : مناظرة ابن تيمية مع البطايحة — ٦٢٦ .
* للمؤلف نفسه : رسالة تتضمن الحديث في سؤال النبي عن الإسلام والإحسان وجوابه عن ذلك — ٦٢٧ .
* للمؤلف نفسه : قاعدة في رد على الغزالي في مسألة التوكل — الغزالي ٦٢٨ .
* للمؤلف نفسه : قاعدة في أفعال الحج — ٦٢٩ .
* للمؤلف نفسه : قاعدة في الصبر — ٦٣٠ .
* محمد بن أحمد عبد الهادي الحنبلي : مناقب ابن تيمية الحراني — ٦٣٣ .
* سراج الدين أبو جافظ عمر بن علي بن موسى البزاز : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية — ٦٣٥ .
* مرعي بن يوسف الحنبلي الدمشقي : الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية — ٦٣٦ .
* ابن قيم الجوزية : الكلم الطيب والعمل الصالح — ٦٣٧ .
* للمؤلف نفسه : زاد المعاد في هدي العباد — ٦٣٨ .
* للمؤلف نفسه : جلاء الإفهام في قفل الصلاة على خير الأنام — ٦٣٩ .
* للمؤلف نفسه : تحفة المودود في أحكام المولود — ٦٤٠ .
* للمؤلف نفسه : كتاب الروح — ٦٤١ .
* للمؤلف نفسه : سفر الهجرتين وطريق السعادتين — ٦٤٢ .
* الشوكاني اليمني : جواب الموحدين في دفع الشبه عن المجتهدين — ٦٤٤ .
* للمؤلف نفسه : الدرر البهية في المسائل الفقهية — ٦٤٥ .
* **الملحق ويشمل ست مخطوطات** ، منها :
* الإمام محمد بن الحسن الشيباني : رسالة في قرية تميم الداري — ٦٥٩ .

خاتمة البحث ووفاة الحلواني

بعد أن تعرض هذا البحث لشخصية هذا المفكر الرحالة ، الذي بدأ حياته طالب علم ، ثم مدرساً بالحرم النبوي الشريف بالمدينة ، نجد أن رحلته العلمية لم تتوقف عند ذلك ، فإذا هو طالب علم ثانية في رحاب الجامع الأزهر الشريف ، يلتقي بعلماء عصره كعبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب ومحمد محمود التركزي الشنقيطي — رحمهما الله — ، وتطورت أواصر العلاقة العلمية بين الحلواني والشنقيطي ، فإذا هما يأخذان خطوات فعّالة في مجالات البحث عن تراثنا العربي والإسلامي ، يكشفان عن كنوزه وينشران منه ما تسمح به ظروفهما وظروف العصر نفسه .

وفي مصر التقى الحلواني — أيضاً — بالمستشرق كارلو لاندبرج ولا يستبعد أن الشنقيطي قد فعل أيضاً .. وذلك ما نستنتجه من محاولات «لاندبرج» في أن يقوم الشنقيطي برحلته إلى «استكهولم» لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في تلك المدينة الأوروبية سنة ١٨٨٨ م ، التي رحل إليها الحلواني من قبل في سنة ١٨٨٣ م ، عارضاً للبيع — تحت ظروف مالية قاسية — تلك المجموعة الثمينة منَ المخطوطات العربية ، التي أحرزت مؤسسة «بريل» بشرائها رصيداً علمياً في مجال اقتناء ونشر التراث العربي ، وهو ما عرفت به من قبل وما زالت محافظة عليها حتى الآن .

إلا أن ما صادفه الحلواني من مصاعب مالية أدت به إلى أن يتخلص من التراث العزيز على نفسه ، الذي قضى في نسخه وجمعه عدة سنوات من حياته العلمية في المدينة ، تلك المصاعب لم تتسبب في أن يفقد الحلواني صلته القوية بهذا التراث ، فإذا هو يستقر في الهند ليتابع في موطن إقامته الجديد نشره ، ولا نعلم إذا ما كانت الهند هي المحطة الأخيرة في رحلة مفكرنا الحلواني ، فبعض من ترجموا له ، مثل محب الدين الخطيب ، يرون أن وفاته كانت بالهند[٤٥] ويرى الزركلي[٤٦] أن تاريخ الوفاة كان في سنة ١٣١٦ هـ/١٨٩٨ م ، وتفصل مقالة نشرت في مجلة المنهل الظروف التي أحاطت بوفاته كما يلي :

(إنه عندما تاق أمين حسن الحلواني إلى زيارة البلدان العربية في أواخر العهد العثماني ، بارح المدينة المنورة وتوجه إلى طرابلس حاملاً معه «الربع المجيب» الذي كان يستخدمه لمعرفة اتجاه القبلة .. وأوقات الصلاة .. وسير النجوم وحركاتها ، فقد كان المذكور من أحذق علماء الفلك في وقته ، مشغوفاً بالبحث في هذا العلم ، وقد قرأ عدة مؤلفات في علم الفلك قراءة درس وتمحيص ، وكان أبيض اللون ، ضعيف النظر ، وكان يستعمل نظارة طبية للاستعانة بها في المطالعة والدرس ، وعندما توغل في داخل البلاد اشتبه فيه الأعراب الطرابلسيون هناك وظنوه غربياً لبياض بشرته ، ووجود نظارة على عينيه ، فاتفقوا فيما بينهم على قتله ليلاً ، وبالرغم من أن كثيراً من أهل طرابلس تدخلوا في الأمر ، وأفهموا الأعراب أن الرحالة عربي مسلم جاء من البلاد المقدسة .. إلا أنهم لم يقتنعوا بذلك ، بل قتلوه في آخر الأمر لاعتقادهم أنه غربي جاء يتجسس عليهم)[٤٧]..

ويستنتج كاتب المقالة أن وفاة الحلواني لم تكن في «بومباي» بالهند ، ذاكراً أنه استقى معلوماته من محمد نصيف[٤٨] ــ رحمه الله ــ الذي كان على صلة كبيرة بعلماء عصره في العالم الإسلامي .

الهوامش

* سبق أن نشرت جزءاً من هذا البحث في مجلة الطالب السعودي الصادرة عن نادي الطلاب السعوديين في المملكة البريطانية المتحدة ، العدد الأول من السنة الخامسة في المحرم ١٤٠٦ هـ/أكتوبر ١٩٨٥ م ، ص ٣٠ ــ ٣٨ .

١ – انظر على سبيل المثال .. عبد الله عبد الجبار : التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، ط ، ص ١٩٣ ، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ــ ١٩٥٩ م .

٢ – عبد الرحمن الأنصارى «تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب» تحقيق .. محمد العروسي المطوي ، ط ، ص ١٩٧ ، تونس ، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م .

٣ – داود باشا .. أصله من الكرج ومولده في حدود ١١٩٠ هـ ، كان عالماً فاضلاً أنشأ المدارس العظيمة ،ودور الخير والإحسان ، وقد تولى حكم العراق سنة ١٢٣٢ هـ ، ثم ذهب إلى الآستانة بعد استسلامه لجيش السلطان محمود الثاني ، وظل فيها إلى سنة ١٢٦٠ هـ ، حيث أرسله السلطان عبد المجيد خان شيخاً على الحرم النبوي ، وبقي بالمدينة مشتغلاً بالعلم والتدريس إلى أن توفي سنة ١٢٦٧ هـ .

انظر خليل مردم بك «أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع» ط ٢ ، ص ١٨٠ ــ ١٨٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

٤ – عثمان بن سند البصري الوائلي ، أصله من نجد ، ثم سكن البصرة ، واشتغل بفنون لسان العرب ، ومن تآليفه منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الإعراب والأزهرية ، ومغنى اللبيب ، توفي سنة ١٢٥٠ هـ .. انظر المصدر السابق ص ١٦٩ .

٥ – عبد الله «باشا» بن محمد بن عبد المعين بن عون ، من أمراء مكة ، ولد فيها سنة ١٢٣٧ هـ/١٨٢١ م ، وأقام بالآستانة فأحرز رتبة الوزارة ، ثم ولي إمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٧٤ هـ فجاءها ، وتسلم أمورها ، واستمر فيها إلى أن توفي بالطائف سنة ١٢٦٤ هـ/١٨٧٧ م .

انظر خير الدين الزركلي «الأعلام» ط ٣ ، ١٣٢/٤ ، مصر ١٩٥٥/١٣٧٤ .

٦ ــ فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، إمام شجاع .. حازم ، أقام في مصر معتقلاً بين ١٢٥٥ ــ ١٢٥٩ هـ ، ثم عاد إلى نجد ، ودانت له الأحساء والقصيم والعارض حتى أطراف الحجاز وعسير ، وتوفي بالرياض سنة ١٢٨٢ هـ/١٨٦٥ م . انظر المصدر السابق ١٦٤/٥ .

٧ ــ عثمان بن سند البصري الوائلي «مطلع السعود بأخبار الوالي داود» ــ اختصار أمين بن حسن الحلواني المدني ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المقدمة ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ .

٨ ــ عالم مشهور ، ولد في بلاد نجد ، وعندما انتقلت عائلة آل الشيخ إلى مصر ، بعد أن حارب إبراهيم باشا عبد الله بن سعود أمير نجد ، التفت الشيخ عبد الرحمن إلى طلب التعلم والتعليم والاستفادة والإفادة إلى أن صار في الأزهر شيخ رواق الحنابلة ، وكان ظاهر التقوى والصلاح والزهادة والعبادة إلى أن توفي سنة ١٢٧٤ هـ .

انظر عبد الرزاق البيطار «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» ــ تحقيق محمد بهجة البيطار ، ٨٣٩/٢ ، المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٣٨٢ هـ/١٩٦٣ م .

٩ ــ مختصر مطالع السعود : ١١٧ .

١٠ ــ أحمد أسعد بن السيد بن محمد أسعد المدني الحسيني ، ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٤٥ هـ ، وتلقى العلم على عدد من علماء وقته (الشيخ يوسف الصادق ، والشيخ عبد الغني الدمياطي والشيخ حبيب المغربي) . وتولى إفتاء المذهب الحنفي في المدينة . وتوفي في السابع من رمضان من عام ١٣١٤ هـ ، في الآستانة .

انظر المصدر السابق ٢١٠/١ــ٢٠٦ .. ونقلا عن جعفر إبراهيم فقيه ، أن أحمد سعد ، وأسعد العابد ، وأبا الهدى الصيادي ، كانوا من مستشاري السلطان عبد الحميد الثاني ، ولهذا كانت إقامتهم في الآستانة .

١١ ــ أبو الهدى الصيادي .. محمد بن حسن علي خزام الصيادي الرفاعي الحسيني ، ولد في خان شيخون (من أعمال حلب) سنة ١٢٦٦/١٨٤٩ ، وتعلم بحلب ، وولي نقابة الأشراف فيها ، ثم سكن الآستانة ، واتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني ، فقلده مشيخة المشايخ ، توفي في جزيرة الأمراء في «رينكيبو» سنة ١٣٢٨ هـ/١٩٠٩ هـ . الأعلام ٣٢٤/٦ــ٣٢٥ .

١٢ ــ مختصر مطالع السعود ــ المقدمة .

١٣ ــ المصدر السابق .

١٤ ــ علي الخاقاني «مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة» القسم الأول/٥٠ ، مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م .

١٥ ــ مصطفى عبد الغني «مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث» ص ٦٤ ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

١٦ ــ علي الخاقاني ص ٥٠ ، ويذكر الخطيب أن الحلواني اختصر تاريخ ابن سند قبل قيامه برحلاته من المدينة للشرق وأوربا .

١٧ ــ ولد في بيروت سنة ١٨٦١ م ، درس في الكلية الأمريكية ، وسافر إلى مصر ، واشتغل بالصحافة ، وأصدر مجلة الهلال ، ووضع تآليف كثيرة في التاريخ ، والقصص ، واللغة ، والعلوم ، توفي في مصر سنة ١٩١٤ م . انظر : بُطرس البستاني ، أدباء العرب ، ٤٣٣/٣ ، دار مارون عبود ــ بيروت .

١٨ ــ إلياس سركيس «معجم المطبوعات العربية والمعربة» ١٧٥/٢ ، القاهرة ، ١٣٤٦/١٩٢٨ .

١٩ ــ مختصر مطالع السعود : المقدمة .

٢٠ ــ School of Oriental and African Studies, University of London, Library Catalogue, Author Catalogue, A. 31 oe, 1963 Vol. 1. P. 347.

٢١ ــ مختصر مطالع السعود : المقدمة .

٢٢ ــ حمد الجاسر «رحلات»« ط ١ ، ص ٢١٣ ، الرياض (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م) .

٢٣ ــ محمد بن محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي ، ولد في شنقيط (موريتانيا) وانتقل إلى المشرق فأقام بمصر ، ورحل إلى مكة فاتصل بأميرها الشريف عبد الله ، وانتدبته حكومة الآستانة أيام السلطان عبد الحميد الثاني للسفر إلى اسبانيا ، والاطلاع على ما فيها من المخطوطات العربية وأعلامها بما ليس منه في مكتباتها بالآستانة ، فقام بذلك ، سافر إلى المدينة فلم يكن على وفاق مع علمائها فطلبوا إخراجه ، فرحل إلى مصر حيث اتصل بالشيخ محمد عبده ، من أهم أعماله العلمية تصحيحه لبعض الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني ، فنشرت تصحيحاته بكتاب سمي تصحيح الأغاني ، توفي (سنة ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤ م) انظر «الأعلام» ٣١١/٧ ــ ٣١٢ .

٢٤ ــ مختصر مطالع السعود : المقدمة .

٢٥ ــ Carlo Landberg catalogue de manuscripts arabes provent dune bibliotheque privee, el-median leide. e.j. brill, 1883, P 90.

٢٦ ــ رحلات : ٢١٣ .

٢٧ ــ السلطان عبد الحميد الثاني ، تولى خلافة الدولة العثمانية في الفترة ما بين ١٨٧٦ م ــ ١٩٠٩ م .

انظر أحمد عبد الرحيم مصطفى «أصول التاريخ العثماني» ط ١ ، ٣٢٠ ، دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م .

٢٨ ــ كان عدد الأعضاء الذين اشتركوا في تلك الدورة من مؤتمر المستشرقين ٦٤٦ عضواً ، من بينهم ، «الشيخ ابن عبد الله» قاضي تلمسان ، والشيخ «محمد محمود الشنقيطي» ، و «البارون دي كريمر» النمساوي ، و «بروكش باشا» الألماني الذي كان ناظراً لمدرسة اللغات القديمة بمصر ، و «امكس مولر» من أساتذة أكسفورد و «كونوال» الروسي ، مدير كتبخانة دار المعارف بقازان .

ومن البحوث التي ألقيت في المؤتمر : تاريخ الحكماء لابن القفطي ، ومعجم الأدباء لياقوت ، وفهرست للمخطوطات العربية ، وأصول الحديث ، وكيفية الكلمات المركبة في اللغة العربية ، وكتاب عجائب الهند ، وفلاسفة العرب الذين كانوا مع فردريك الثاني في صقلية ، وكيفية النطق بالكلمات المصرية القديمة ، واستكشاف طريقة المقاييس عند قدماء المصريين ، ولقد أخرج محمد أمين فكري «بك» كتاباً عن هذا المؤتمر حيث كان والده «عبد الله فكري» رئيساً للوفد العلمي المصري في هذا المؤتمر وقد سمى كتابه هذا «إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا» مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٢٩ م .

انظر محمد خلف الله أحمد «معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها» ص ٥٥ ــ ٥٦ ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

٢٩ ــ مستشرق سويدي ، ولد سنة ١٨٤٨ م ، أمضى في الشرق سنوات عديدة ، بدأ إنتاجه بكتاب عن «الأمثال والأقوال الشائعة في ولاية سوريا ، قضاء صيدا» ، الذي صدر بالفرنسية ١٨٨٣ م في ليدن ، وحصل به على الدكتوراه الأولى من ليبستك غيابياً في سنة ١٨٨٣ م ، وتلاه بتحقيق ديوان «أبي محجن الثقفي» ١٨٨٦ م ، وديوان «زهير بن أبي سلمى» ١٨٨٩ م ، في مجموعة بعنوان «طرفة عربية» وقد اتجه «لاندبرج» كذلك إلى دراسة لهجات جنوب الجزيرة العربية ، وكانت ثمرة بحثه فيها هي .. «دراسات في لهجة جنوب الجزيرة العربية» ــ ليدن ، بريل ١٩٠١ ــ ١٩١٣ ، وفي السنوات الأخيرة من عمره كرس نفسه للعمل في «قاموس وطني» .. أي قاموس للهجة وطنية في جنوب الجزيرة العربية ، وقد أصدر منه الجزء الأول في ١٩٢٠ م ، والثاني في ١٩٢٣ م ، وتوفي قبل أن يصدر الجزء الثالث وهو الأخير ، وكان

قد أعده للطبع فقام «زترستين» بطبع هذا الجزء الذي خلفه «لاندبرج» بعد وفاته ، كذلك توفي «لاندبرج» قبل أن يطبع كتاباً في معجم لغة بدو عنزة ، فتولى «زترستين» طبعه في عام ١٩٤٠ م .

وفي ميدان التاريخ الإسلامي ، نشر لاندبرج كتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي» لعماد الدين الأصفهاني ــ ١٨٨٨ م ، وقد توفي «لاندبرج» سنة ١٩٢٤ م .

انظر عبد الرحمن بدوي «موسوعة المستشرقين» ط ١ ، ٣٥٠ ــ ٣٥١ ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

وفي الأعلام ٦٦/٦ ، أنه نشر «رسالة التنبيه على غلط الجاهل والنبيه» لابن كمال باشا .

٣٠ ــ ويؤكد عدم حضور التركزي لذلك المؤتمر ، أحمد الأمين الشنقيطي حيث ذكر «أن السلطان بعث إليه بأن يتهيأ للسفر فقال : لا ، حتى تعطوني مكافأة أتعابي ، فغضب عليه السلطان ، وأمره بالسفر إلى المدينة» . انظر «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» ط ٣ ، ٣٩٣ ، القاهرة ١٣٨٠ هـ : ١٩٦١ م . بينما يدرج محمد خلف الله أحمد اسمه ضمن قائمة من حضر ذلك المؤتمر من العلماء والمفكرين : انظر «معالم التطور» ٥٥ .

٣١ ــ انظر . محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي «الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية» ٦/١ ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ .

٣٢ ــ محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركماني ، مفتي الديار المصرية ، ومن كبار رجال الإصلاح في الإسلام ، ولد في شبرا من قرى الغربية بمصر سنة ١٢٦٦ هـ/١٨٤٩ م ، وتوفي بالإسكندرية سنة ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م ، ودفن في القاهرة . انظر «الاعلام» ١٣١/٧ .

٣٣ ــ الحماسة السنية : ٢١/١ ــ ٢٢ .

٣٤ ــ مختصر مطالع السعود : المقدمة .

٣٥ ــ NUMBER : NE B 892-7, B19

٣٦ ــ لقد تكرم الزميل إبراهيم ولد وله ، الطالب بقسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر بترجمة هذه المقدمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة الانجليزية ، وقد قمت ــ بتوفيق الله ــ بترجمتها إلى اللغة العربية .

٣٧ ــ أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة ، مولده سنة ٨٧٠ هـ/١٤٦٥ م وتوفي سنة ٩٤٧ هـ/١٥٤٠ م .

انظر أيمن فؤاد سيد «مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي» ص ٢٠٥ ــ ٢٠٨ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية «القاهرة ، ١٩٧٤ . وقد أثبت لاندبرج له من المؤلفات في فهرسة «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» رقم ٢٣٢ ، و «رحلة لبعض اليمنيين إلى داخل إفريقيا» رقم ٢٣٥ .

٣٨ ــ ورد في الفهرس ذكر ديوان الأعشى الكبير ، رقم : ٣٠٢ .

٣٩ ــ لقد أثبت «لاندبرج» في فهرسه نسختين من كتاب «جمهرة أشعار العرب» لابن أبي الخطاب القرشي وهما تحت رقم ٣١٠ ، ٣١١ .

٤٠ ــ من المخطوطات التي تضمنها الفهرس في تاريخ مكة .. «شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام» للفاسي ، رقم : ٢٨٩ ، وكتاب «أخبار مكة» لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي رقم ٢٩٩ ، وكتاب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» ، لقطب الدين النهروالي ، رقم ٢٩٠ ، و «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها ، وبناء البيت الشريف» لمحمد جار الله بن ظهيرة المكي ، رقم : ٢٩٦ .

٤١ ــ ورد في الفهرس ذكر «الجزء الثالث من تاريخ الحافظ الذهبي» رقم : ١ .

٤٢ ــ كتاب يوسف الحافظ المزي ، المسمى «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» ، وهو معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة عنهم ، وموسوعة علمية لجميع أحاديث الكتب الستة الصحاح ، تعليقات ابن حجر العسقلاني : Gustav Meiseis Reference Literature To Arabi Studies, 1978, P 124

٤٣ ــ مصطفى بن عبد الله جلبي ، المعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧/١٦٥٧ ،وكتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» . انظر : المصدر السابق : ٤٤ .

٤٤ ــ C. Landberg. Preface. VI-VIII

٤٥ ــ مختصر مطالع السعود : المقدمة .

٤٦ ــ الأعلام : ٣٥٧/١ .

٤٧ ــ محمود عبد الوهاب ، الرحالة أمين الحلواني ، مجلة المنهل ، ج ١ ، ١٨٦ ــ ١٨٧ ، السنة الثالثة عشرة ، ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ/يناير ١٩٥٢ م .

٤٨ ــ محمد بن حسن نصيف ، ولد بجده سنة ١٣٠٠ هـ ، عني بنشر مفيد الكتب وتوزيعها مجاناً على طلاب العلم ، كما شارك بمقالاته الدينية والتاريخية والأدبية في صحافة المملكة السعودية ، وصحافة العالم العربي والإسلامي ، وكانت مكتبته التي انتقلت فيما بعد إلى ملكية جامعة الملك عبد العزيز بجدة مرجعاً للمستنيرين والباحثين . وقد توفي ــ رحمه الله ــ في مدينة الطائف سنة ١٣٩١/١٩٧١ ، ودفن في جدة .

انظر عبد القدوس الأنصاري «موسوعة تاريخ مدينة جدة» ط ٢ ، ٣٤٩ ــ ٣٥٠ ، جدة ، ١٤٠١ هـ/١٩٨٠ م .

★ ★ ★

المراجعات والنقد

تاريخ الأدب العربي

لعمر فروخ

علي جواد الطاهر
أستاذ متقاعد - جامعة بغداد

١ ــ الجزء الأول

عمر فرّوخ ــ تاريخ الأدب العربي ، الجزء الأول : الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية .ــ بيروت : دار العلم للملايين ، ط ١ ، ربيع الأول ١٣٨٥/تموز ــ يوليو ١٩٦٥ ، ١/٣٠٠٠/٧/٦٥ ، ٧٧٢ ص + ٣ . تم طبع هذا الكتاب على مطابع أوفست كونروغرافير قماطي ودكروب .

١ ــ ص ٥ ، ص ٤٢٢ :

ولا أحمل الحقدَ القديمَ عليهم   وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

البيت للمقنع الكندي ــ حماسي في باب الأدب ــ وقد نصب المؤلف «رئيس» على أنه خبر ليس مقدم . ولذلك وجه . ولكننا وجدنا محققي شرح المرزوقي على الحماسة (١١٨٠/٣) وهما : أحمد أمين وعبد السلام هارون ؛ ومحقق شرح التبريزي على الحماسة (وهو محمد محيي الدين عبد الحميد) يرفعون «الرئيس» على أنه اسم ليس .

الملاحظة للتنبيه والمناقشة أكثر منها للتخطئة .

٢ ــ ص ١٥ : «الفهرس الأبجدي لأعلام الأشخاص ...» وكذلك ص ٧٣٩ ، والصحيح : الفهرس الهجائي (أو الألفبائي في الأقل) لأن أ ، ب ، ت ، ث ... غير أ ، ب ، ج ، د ..

٣ ــ ص ٥٤ «نظرية الأنواع الأدبية ، تأليف ش . فنسان (ترجمة حسن عدن ..»

أ ــ ش . فنسان من تصرف المؤلف .

ب ــ لأن المترجم أبقى اسم مؤلف «نظرية الأنواع الأدبية» بحروفه الفرنسية ــ كما قرأها ــ : M. L'Abbé Ci. Vincent وقد أخطأ حين رسم الاسم Ci لأنه في الحقيقة لدى الرجوع إلى الأصل الفرنسي .CL . و .CL هذه مختصرة لا نعرف أصلها ، فقد تكون كليمان وقد تكون كلود ... وهي .CL على أية حال وتعريبها : كل . وإذا كان لابد من حرف واحد ــ كما فعل مؤلف نظرية الأنواع الأدبية في ذيل مقدمته إذ وقع : .C فهي إذاً : ك .

ولن تكون الـ .CL أو الـ .C ش كما رسمها فرّوخ في أية حال من الأحوال .

أما Vincent فهو فنسن وليس فنسان ــ مع ضرورة تقصير النون لدى لفظها ..

جـ ــ حسن عدن : حسن عون ــ وهو من الخطأ المطبعي .

٤ ــ ص ٥٤ «محمد الهياري» : الصحيح محمد الهيهاوي ــ وهو من الخطأ المطبعي .

٥ ــ ص ٩٢ «من قديم الشعر (...) ما ذكره ابن سلام أيضاً عن دويد بن زيد بن نهد القضاعي أنه قال لما حضرته الوفاة :

اليوم يُبنى لدويــد بيتُ لو كان للدهر بلىً أبليته ...»

الصحيح : اليوم يُبنى لدويد بيتُه .

وأن الفتحتين من بلًى توضعان على اللام وليس على الألف (الياء) .

٦ ــ ص ٩٦ : «كتاب الشعر والشعراء . تأليف أبي محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة (نشرة ده خويه) ، ليدن ١٩٠٢ م . ثم نشر مراراً ، القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٣٢ ، ١٢٦٤ ــ ١٣٦٦ هـ الخ ، ثم بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م » .

لابد من أن ترجع ١٢٦٤ للخطأ المطبعي ، وصحيحها ١٣٦٤ ، وربما كان صحيح الرقمين (١٢٦٤ ــ ١٣٦٦) : (١٣٦٤ ــ ١٣٦٩) ، وهو تاريخ صدور «الشعر والشعراء» بجزءين عن دار إحياء الكتب بتحقيق أحمد محمد شاكر . وهو تحقيق لا يمكن إغفاله ؛ إنه من أجود التحقيقات إن لم يكن أجودها .

٧ ــ ص ١٠٠ : «أعلام الجاهلية في الشعر (....) الفِنِد الزّماني ...»

وردت «الفَنِد» بفتح الفاء وكسر النون . وأحال المؤلف على القاموس ١ : ٣٢٤ .

ونعود إلى القاموس فنراه يقول : الفِند بالكسر [أي كسر الفاء] الجبل العظيم ... ويُفتح ولقب شهل الزماني .. وفند بالكسر جبل بين الحرمين الشريفين ، واسم أبي زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ...

وهذا يعني أن الراجح في لفظ «الفند الزماني» الشاعر كسر الفاء . وإذا كان لابد من الاحتياط فكسرها مع الإشارة إلى «الفتح» . وليس صحيحاً الفتح وحده مع الإحالة على القاموس .

هذا وقد اختار محققو شرح المرزوقي على الحماسة ومحقق شرح التبريزي كسر الفاء — وهو الأولى اذا كان لا بد من الاختيار .

٨ — ص ١٠٨ : «قال تأبط شرّاً في التصعلك يشيد بابن عم له صعلوك اسمه شُمس [بضم الشين] بن مالك ...»

نص المؤلف على ضم الشين من «شمس بن مالك» فقط مع احتمال صحة فتحها ، أو ترجيح الفتح لوجود ثقات فتحوها : فقد جاءت مفتوحة في تحقيق شرح المرزوقي على الحماسة . وجاء في التحقيق أن «فتح الشين هي الرواية التي اعتمدها المرزوقي» . وقال المرزوقي في شرحه : «والتسمية بالشمس كالتسمية بالبدر والهلال . وذكر بعض المتأخرين أنه يروى شُمس بن مالك» بضم الشين ، قال : «ويكون هذا في أنه علم لهذا الرجل فقط ، كحَجر في أنه علم أبي أوس الشاعر ، وأبي سُلمى في أنه علم أبي زهير الشاعر . والأعلام لا مضايقة فيها» .

وتابع التبريزي المرزوقي دون نص (شأنه في كثير من الأحوال) .

٩ — ص ١١٦ «ديوان عمرو بن قميئة ... بيروت»

وطبع في بغداد كذلك محققاً مصححاً بعناية خليل إبراهيم العطية .

١٠ — ص ٤١٢ «عبد الرحمن بن أرطأة ...»وتكررت أرطأة على أرطاة .

ومصدر المؤلف الأغاني ٢ : ٢٤٢ — ٢٦٠ . وهو في الأغاني أرطاة .

١١ — ص ٤٣٣ «كان للقتال ديوان شعر فيه قصائد ...»

لم هذه الـ «كان» ؟ لقد ورد على ص ٤٣٦ : «ديوان القتال الكلابي (حققه وقدم له إحسان عباس) بيروت ١٩٦١» .

١٢ — ص ٤٤٩ «أرطأة بن سهية ..» وتتكرر أرطأة .

ومصدر المؤلف الأغاني ١٣ : ٢٩ — ٤٤ ، راجع ١٢ : ٢٧١ وما بعدها .

وهو في الأغاني أرطاة .

١٣ — ص ٧٣١ «البعيث المجاشعي ...» .

يا حبذا لو ضبطت الباء [بالفتح] من البدء ، فقد عُني المؤلف بضبط الثاء حيث ترد مجرورة أو منصوبة ... ولم يضبط الباء — وهي موضع الوهم — إلا عرضاً .

١٤ — لم يذكر المؤلف في مراجعه عن الأدب الإسلامي والأموي : كتاب «عصر القرآن» لمحمد مهدي البصير ، بغداد ، ط ١ سنة ١٩٤٧ ، ط ٢ سنة ١٩٥٥ مع أنه ذكر مراجع دونه أهمية .

١٥ — صدر في العراق — في الآونة الأخيرة خصوصا — عدد مهم من دواوين الشعراء جمعاً أو تحقيقاً لم يدل المؤلف على علمه بها . منها : السموأل . عدي بن زيد العبادي . ليلى الأخيلية . المثقب العبدي . المزرد بن ضرار الغطفاني . أبو دهبل الجمحي — تنظر مجلة المورد ، بغداد ، المجلد الثالث ، العدد الثاني ١٣٩٤/١٩٧٤ : «نشر الشعر وتحقيقه في العراق» فهي تدل على دواوين أخرى .

ولم يذكر المؤلف شعر الراعي النميري الذي جمعه ناصر الحاني ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق ...

١٦ — ص ١٠ : «عمرو بن معدي كرب الزَّبيدي» . ص ٢٧٥ «عمرو بن معدي كرب ... بن زَبيد» بفتح الزاي .

وليس خطأ أن يكتب اسم أبي الشاعر «معدي كرب» ، ولكن المألوف الشائع — وكما في مصدر المؤلف (الأغاني ١٥ : ٢٠٨) أن يرسم «معد يكرب» بل من الباحثين من يخطىء الرسم الأول .

أما فتح الزاي فخطأ لا غبار عليه ، لأن الشاعر منسوب إلى زُبيد «بضم الزاي كزبير» .

١٧ — ص ٤٠٠ : (المتوكل الليثي) :

على أنني لم أرم في الشعر مسلماً ولم أهج إلّا من روى وهجاني

الصحيح : من رمى — وهي هكذا في ديوان المتوكل الليثي بتحقيق يحيى الجبوري .

الجزء الثاني

عمر فروخ — تاريخ الأدب العربي ، الجزء الثاني : الأعصر العباسية ، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري . بيروت : دار العلم للملايين ، صفر ١٣٨٨/أيار (مايو) ١٩٦٨ ، ٦٨/٥/٣٠٠٠/١ — ٦٦٩ ص — ٦٧٢ وأعيد طبعه (تصويراً كما يبدو) ١٩٧٥ م .

١ — ص ٣٤ : «دولة بني بويه (فارسية) ٢٣٢ — ٤٤٠ هـ » .

أ — صحيح فارسية : ديلمية .

ب — صحيح ٤٤٠ هـ : ٤٤٧ هـ ، إذا اتخذنا دخول طغرلبك السلجوقي بغداد نهاية لدولتهم — وهو التاريخ المتبع .

٢ — ص ١٢٦ «ديوان أبي السري ابن الدمينة الخثعمي (شرحه محمد هاشم البغدادي) ، دمشق (مطبعة المنار) ١٩١٨» .

الصحيح : .... شرحه محمد الهاشمي البغدادي ، القاهرة ...

٣ ــ ص ١٧٩ ــ ١٨٠ : مصادر مسلم بن الوليد ..

لم يذكر : مسلم بن الوليد صريع الغواني ــ فؤاد حنا ترزي أحد أساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية ، طبع في دار الكتاب ــ بيروت سنة ١٩٦١ ، ٢٣٥ ص .

٤ ــ ص ١٩٥ : «علي بن جبلة العكوك ... المختار من شعره ... ص ١٩٧ ــ ٢٠٢ : اليتيمة ... قال بعضهم إن القصيدة جاهلية ، وقال آخرون هي أموية . والأكثر أنها عباسية . وقال العكبري (ت ٦١٦ هـ) في شرح قول المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) : « ... وبضدها تتميز الأشياء» إنه مأخوذ من قول المنبجي : «والضد يظهر حسنه الضد» (...) وقيل هي لدوقلة المنبجي (...) وقيل إن القصيدة لأبي الشيص .

على أن في مكتبة المجمع العلمي العربي في دمشق مجموعاً وردت فيه «اليتيمة» منسوبة إلى العكوك علي بن جبلة . بهذا النظر تأتي هذه القصيدة هنا :

هل بالطلول لسائل ردُّ أم هل لها بتكلم عهدُ ...

في رواية المؤلف نفسه لنسبة القصيدة هذه ما يدل صراحة على اضطراب النسبة ، فهي مرة لدوقلة المنبجي ومرة لأبي الشيص ومرة للعكوك . وفي هذا وحده ما يمنع المجازفة بروايتها في ترجمة العكوك من الكتاب . فكيف إذا كان مجموع الرواية مع ما لحقها في الهامش يميل بالنسبة ترجيحاً إلى دوقلة المنبجي ؟

ونذكر ــ هنا ــ أن صلاح الدين المنجد نشر «اليتيمة» صادرة عن داره «دار الكتاب الجديد» ببيروت .

٥ ــ ص ٢٤٤ : «محمد بن سلام (...) ولابن سلام عدد من الكتب ذكر منها ابن النديم (...) كتاب غريب القرآن....»

لقد تكرر الخطأ في نسبة هذا الكتاب إلى محمد بن سلام . والصحيح أنه للقاسم بن سلام .

٦ ــ ص ٢٤٦ : «كتاب الفرسان المنسوب إلى أبي (الفضل بن الحباب) ...»

الصحيح : المنسوب إلى أبي خليفة الفضل بن الحباب .

٧ ــ ص ٢٥٣ «ألف أبو تمام الحماسة (...) في أثناء إحدى أوباته من عند عبد الله بن طاهر من خراسان ، وقد نزل ضيفاً على أبي الوفاء بن سلمة ، في الجبال شرق العراق ، في الشتاء ...»

ماذا لو قلنا : ونزل ضيفاً .. في همذان؟ إن قولنا : «في الجبال شرق العراق» لا يحدد المكان ، والتاريخ يحدده بهمذان .

٨ ــ ص ٢٦٩ : «وكان بين ابن الزيات والقاضي أحمد بن أبي دؤاد عداوة ...»

الصحيح : دواد . قال ابن خلكان : «ودواد بضم الدال المهملة وفتح الواو وبعد الألف دال ثانية مهملة» .

٩ ــ ص ٢٧٦ : «عبد الصمد بن المعذَّل ...» بكسر الذال . المألوف فتح الذال .

١٠ ــ ص ٣٢٩ : «ابن قتيبة (...) ألقى تبعة بعض العرب على أوبرناش العجم وسَفَلتهم ...»

المناسب في «أوبرناش» أن تكون أوباش .

ولا بد من كسر السين في «سفلتهم» . جاء في القاموس : «السِّفْل والسِّفلَةُ بكسرهما (...) وسِفْلةُ الناس بالكسر ...»

١١ ــ ص ٣٢٩ : «ابن قتيبة (...) رأس المذهب البغدادي في اللغة والنحو»

لا يحبذ كثير من الباحثين الثقات هذا الجزم بوجود للمذهب البغدادي ، وهم يرونه كوفياً في أصله وحقيقته .

١٢ ــ ص ٤٣٠ «الخُبز أُرزي» بضم الهمزة وسكون الراء ... هكذا التزم المؤلف ، ولا موجب لهذا الالتزام . يقول ابن خلكان : «الخبز أرزي بضم الخاء المعجمة وسكون الباء وفتح الزاي وبعدها همزة ثم راء ثم زاي . وفتح الهمزة وضمها وتشديد الزاي وتخفيفها في الأرز يختلف باختلاف اللغات في هذه الكلمة وفيها ست لغات ...»

١٣ ــ ص ٤٩٤ ــ ٤٩٥ وهو يعدد مراجع دراسة أبي الفرج الأصفهاني ذكر «أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني ، تأليف محمد عبد الجواد الأصمعي (...) .

صاحب الأغاني أبو الفرج الراوية (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٣ .

أبو الفرج الأصفهاني ، تأليف شفيق جبرى ...» .

لم يذكر اسم مؤلف الكتاب الأوسط . وأعلم أن مؤلف «صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الراوية» هو محمد أحمد خلف الله .

١٤ ــ ص ٥٠٥ : «أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهك المعروف بكُشاجم ، كان جده من السند ...» وهكذا يَضبط كُشاجم بالجيم حيث وردت ، وعلى هذا الضم يرد ــ عادة ــ حيث يشكل .

ولكن المؤلف يقول : «إن لقبه كُشاجم مقطوع من ألفاظ تدل على صفاته وعلى الفنون التي برع فيها : الكاف من كِتابة ، والشين من شعر ، والألف من إنشاء ، والجيم من جدل ، والميم من منطق» .

وهنا نقول ، إن صحت هذه الرواية وجب كسر الكاف من كشاجم لأن كاف الكتابة مكسورة .

ويحق لنا أن نذكر رواية أخرى تقول : «إن لقبه منحوت من عدة علوم يتقنها كشاجم ، فالكاف من كاتب والشين من شاعر

والألف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق» .

وهنا نقول : إن صحت هذه الرواية وجب فتح الكاف لأن كاف الكاتب مفتوحة . وجاء في «تاج العروس» ما يفيد أن كشاجم بضم الكاف ، وفتحها بعضهم (وينظر الزركلي ــ الأعلام ١٦٧/٧ ــ ١٦٨) .

يبقى احتمال لنا أن نورده بعد الاعتذار عن التعليلين ، هو قد تكون «كشاجم» لفظة أجنبية . ولنتذكر أن اسم جده شاهك وأنه من السند .

١٥ ــ ص ٥٧٤ : «ابن الحجاج أبو عبد الله الحسين بن أحمد (...) من كبار الشيعة (...) توفي في بلدة النيل على الفرات (بين الكوفة وبغداد) ، في ١٧ جمادى الثانية من سنة ٣٩١ هـ (٢٥ ــ ٤ ــ ١٠٠١ م) عند مشهد موسى الكاظم في ظاهر بغداد ...» .

أ ــ لا معنى لقولنا : من كبار الشيعة لأنه لم يكن إماماً ولا فقيهاً .. حتى لو قالها ابن خلكان !

ب ــ لا بد من زيادة كلمة أو أكثر قبل «عند مشهد موسى الكاظم» كأن نقول : ودفن عند مشهد موسى الكاظم .

جـ ــ يقول ابن خلكان : «أبو عبد الله الحسين (...) بن الحجاج الكاتب ذو المجون والخلاعة والسخف (...) توفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بالنيل وحمل إلى بغداد رحمه الله تعالى ودفن عند مشهد موسى بن جعفر (...)» .

١٦ ــ ص ٥٨٥ : «القاضي الجرجاني (...) تطوّف في صباه في فارس والعراق والشام ...» .

تبدو «تطوّف» غريبة ، وهي قاموسية : «طاف حول الكعبة وبها طوْفاً وطوافاً وطَوَفاناً واستطاف وتَطوَّف وطوَّف تطويفاً بمعنى» .

١٧ ــ ص ٦٢٥ «الفهرس الأبجدي لأعلام الأشخاص ...»

الصحيح : الهجائي (أو ألفبائي في الأقل) تجنباً لدلالة الأبجدية على تسلسل أ ، ب ، جـ ، د ...

١٨ ــ ص ٣٢٩ «ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ... ليدن (بريل) ١٨٥٩ م » .

وطبع في بغداد كذلك ١٩٦٨ .

١٩ ــ ص ٦٦٨ «المصائد والمطارد»

الصحيح كما وردت ص ٥٠٩ : المصايد والمطارد .

٢٠ ــ كنا نود لو دخلت في المراجع مؤلفات عراقية مثل «في الأدب العباسي» لمحمد مهدي البصير ، بغداد ، ط ١ سنة ١٩٤٩ وأعيد طبعه ...

الجزء الثالث

عمر فروخ ــ تاريخ الأدب العربي ، الجزء الثالث (من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني) بيروت ، دار العلم للملايين ، جمادى الثانية ١٣٩٢/تموز (يوليو) ١٩٧٢ ــ ١/٣٠٠٠/٧/٧٢ ــ ٩٩٥ ص ــ ٩٩٧ ــ مطابع دار الكتب .

١ ــ ص ٥ : «وحبّاً بتسهيل السُّبل على الذين يحبون التوسع في تراجم الأدباء أورد عدداً من المصادر والمراجع العامة (...) :

أ ــ دمية القصر للباخرزي (طبعه محمد راغب الطباخ) حلب (المطبعة العلمية) ١٣٤٨ ــ ١٩٣٠» .

هذه الطبعة ناقصة كثيراً ، مختصرة غير علمية ، وقد حققت «الدمية» بعدها ثلاث مرات صدرت كاملة الأجزاء أو غير كاملتها من عمل : محمد عبد الفتاح الحلو ، محمد ألتونجي ، سامي مكي العاني .

ب ــ «زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ... شوقي ضيف ... بلا تاريخ»

نقرأ على الطبعة الجديدة التي راجعها وعلق عليها شوقي ضيف : دار الهلال ١٩٥٧ .

٢ ــ ص ٣٣ : « ...حتى أن الخلافة ...» : حتى إن الخلافة ...

٣ ــ ص ٣٣ : «كان البساسيري (...) رجلاً فارسياً ــ وقيل تركي ــ نشيطاً في حوك المكائد» .

٤ ــ ص ٣٤ : «كان الخليفة العباسي عاجزاً عن كبح جماح البويهيين ووزيرهم البساسيري فاستنجد بطغرل بك فأنجده طغرل بك ودخل بغداد وقتل خصوم الخليفة القائم بالله العباسي ورد إليه مكانته وللخلافة العباسية والوزارة رونقها وذلك سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٦ م) ولكن البويهيين والبساسيري لم يتركوا إثارة الفتن وإيقاد نار القتال ، وعاونهم في ذلك الفاطميون ورؤساء عدد من الدويلات»

أ ــ كلام وكأنه يلقى على عواهنه .

ب ــ لأنه لم يكن للبويهيين ــ في آخر أيامهم ــ جماح .

جـ ــ وفي استنجاد الخليفة بطغرلبك ــ وهو يرسم عادة هكذا : طغرلبك ــ نظر ، أقل ما يقال فيه إن طغرلبك كان في طريقه إلى بغداد فاتحاً ، وإنه لم يَرُدّ للخلافة والوزارة ــ إذا كانت له وزارة ــ رونقها ، لأن الخلافة بقيت من غير رونق ، ومضى السلطان الجديد ومن وليه يتحكمون بها ويملون عليها .

د ــ وإذا كان البساسيري طامحاً ، وهو كذلك ، فلم يكن للبويهيين يد في أية فتنة له ــ أو لغيره ــ بعد عام ٤٤٧ .

هـ ــ ص ٣٥ : «حلّ محِلّها دولة ...» ــ بكسر الحاء : محَلّها ــ بفتح الحاء .

٦ ــ ص ٣٥ : «واستطال ملك السلاجقة (...) فإنهم حافظوا على هيبة الخلافة وحفظوا للخلفاء كرامتهم» .

كلام لم يكن عمر فرّوخ أول من قاله من «المؤرخين» المحدثين ، ولا آخرهم ــ والصحة فيه قليلة جداً ، ومن درس تحكم السلاطين السلاجقة بالخلفاء العباسيين على وجه من التأمل والموضوعية لم ير السلاطين حافظوا على ... الخ . فكم اضطهدوا ، وكم حاربوا وعزلوا وقتلوا ...

٧ ــ ص ٣٦ : «كانت قوة الفاطميين في ذروتهما» : في ذروتها ــ والخطأ مطبعي .

٨ ــ ص ٤١ : «لقد كان في القرن الرابع الهجري شعراء مكثرون ، ولكن الشعراء المكثرين والمقلين على السواء قد اشتهروا بالقصيدة والقصيدتين وبالمقطوعة والمقطوعتين ، كأبي الفتح البُستي (ت ٤٠١ هـ) وأبي الحسن التهامي (ت ٤١٦ هـ) وابن زريق البغدادي (ت ٤٢٠ هـ) ــ إن صحت قصته ــ ومهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) .»

أ ــ في العبارة لبس إن لم يكن خلط .

ب ــ فمهيار غريب في هذه «القائمة» لأنه صاحب ديوان كبير وشهرة واسعة وأثر مستديم .

جـ ــ والفقرة تتناقض مع سابقتها التي تقول : «بلغ الشعر خاصة منتهى قوته قبل أن يطل القرن الخامس الهجري ...»

د ــ وإلّا ففي القرن الرابع الهجري نبغ المتنبي ، وهذا وحده كاف ، إذا لم نذكر الشريف الرضي ومهيار الديلمي .

٩ ــ ص ٤٢ : «إن الأدب العربي أدبُ شعر أكثر منه أدب نثر» ــ بفتح الراء من «أكثَر» .

الصحيح ضم الراء .

١٠ ــ ص ٥٠ : «ومن مقطوعات [أبي الفتح علي بن محمد البستي] القصيرة :

وقد يكتسي المرءُ خزَّ الثياب ومن دونه حالُه مضنية
كمن يكتسي خدُّه حمرةً وعِلّتُه ورمٌ في الرئة

لا بد من أن يكون في ظن الشاعر ــ أو قصده ــ أن تقرأ «الرئة» : الريه ، لتسير مع قافية «مضنيه» .

١١ ــ ص ٥١ : ذكر مصادر البستي ، ولم يشر إلى ديوانه (ــ ط) .

١٢ ــ ص ٥٩ «الشريف الرضي (...) وفي ٣٨٨ هـ اعتزل أبوه نقابة الطالبيين فخلفه هو فيها نائباً» .

عبارة ابن خلكان : «وكان أبوه يتولى قديماً نقابة نقباء الطالبيين ويحكم فيهم أجمعين والنظر في المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وأبوه حيّ» .

١٣ ــ ص ٦٣ تحدث عن ديوان الشريف الرضي فذكر ــ فيما ذكر : «شرح ديوان الشريف الرضي (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، مصر (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٤٩ م » .

وكان لابد من الإشارة إلى أن هذا الشرح لم يصدر كاملاً ــ لم يصدر منه إلا جزء واحد .

وحين ذكر مراجع الشريف الرضي أو مهيار الديلمي .. جدير أن يذكر كتاب محمد مهدي البصير ــ في الأدب العباسي ...

١٤ ــ ص ٦٤ «عبد الصمد بن بابك هو أبو القاسم عبد الصمد ابن منصور بن الحسين بن بابك من أهل غمى ! (؟) في أصفهان ...»

أ ــ لم يذكره الثعالبي في باب «محاسن أهل العصر من إصبهان» .

ب ــ وإنما ذكره في باب «الشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق» .

قال الثعالبي : «كان أيام الصاحب يشتي بحضرته ويصيف بوطنه» .

وهو القائل :

له بالريف من جرجان مشتي وبالنخلات من غمى مصيف

١٥ ــ ص ٧٣ : في حديثه عن مؤلفات التوحيدي

أ ــ «الهوامل والشوامل (للتوحيدي ومسكويه) (نشره أحمد أمين وأحمد صقر) القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥١» .

ب ــ البصائر والذخائر (نشره أحمد أمين وأحمد صقر) القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٣ م ؛ (نشره عبد الرزاق محيي الدين ، بغداد ، مطبعة النجاح ١٩٥٤ م ، (تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشق ، مكتبة أطلس ومكتبة الإنشاء) ١٩٦٤ م » .

أحمد صقر : السيد أحمد صقر ــ والسيد اسمه .

نشر عبد الرزاق محيي الدين جزءاً واحداً فقط .

نشرة الكيلاني أكمل النشرات .

١٦ ــ ص ١٠٠ تحدث عن ديوان مهيار فقال :

«ديوان مهيار الديلمي ، استامبول ١٣٠٦ ، القاهرة (النصف الأول منه) ١٣١٤ هـ . [وفي الحاشية : في معجم سركيس ١٨١٤ : الجزء الأول منه بيروت ، المطبعة الأنسية ١٣١٤ هـ] ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٢٥ ــ ١٩٣٠» .

نضيف أن جزءاً من ديوان مهيار طبع في بغداد ، مطبعة الشابندر ١٣٢٢ هـ .

١٧ ــ ص ١٠٥ : «ابن دوست هو أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد ... وقد كان أُطروشاً لا يسمع ألبتة ... وفاته سنة ٤٣٠ هـ» .

من المفيد أن نذكر هنا الفرق بين أطرش وأطروش . جاء في القاموس : «الطَّرَش أهون الصمم أو هو مولَّد (...) والأطروش الأصم ...» .

١٨ ــ ص ١٠٨ «العميدي ، محمد بن أحمد (...) مؤلفاته : الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى ، مصر (المطبعة العباسية) بلا تاريخ» .

نذكر الإبانة بتحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي ، القاهرة ١٩٦١ .

١٩ ــ ص ١١٣ ــ ١١٤ : «مؤلفات الشريف المرتضى كثيرة (...) فمن كتبه الأدبية (...) الشهاب في الشيب والشباب ــ طيف الخيال ــ غرر الفوائد ودرر القلائد (؟) ..» .

أ ــ سيرد الشهاب ص ١١٤ : الشهاب في الشيب والشباب ــ وهو الصحيح .

ب ــ سيعدد ص ١١٤ طبعات طيف الخيال ولكنه لم يذكر ط . بغداد بتحقيق صلاح خالص .

جـ ــ قال ص ١١٣ : «غرر الفوائد ودرر القلائد (؟)» هكذا ختمه بعلامة استفهام وكأنه يجهل كنهه !

وذكر ص ١١٤ «أمالي السيد المرتضى : في التفسر والحديث والأدب (نشرها محمد بدر الدين النعساني) ، القاهرة (جمالي والخانجي) ١٣٢٥ هـ ــ ١٩٠٧ م» .

وبيان الحال أن «غرر الفوائد ودرر القلائد» هو هو «أمالي السيد المرتضى»

ونزيد أن للكتاب طبعة أخرى أحسن هي : أمالي المرتضى ــ غرر الفوائد ودرر القلائد بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣/١٩٥٤ .

٢٠ ــ ص ١٤٣ : «العصر السلجوقي . قامت الدولة السلجوقية في أصبهان بفارس سنة ٤٢٩ ...» .

ليست أصبهان بفارس ــ لدى الرجوع إلى المصطلح الجغرافي التراثي . إن أصبهان في إقليم الجبال وفارس إقليم آخر .

٢١ ــ ص ١٤٣ ــ ٤ : «وفي ذي القعدة من سنة ٤٥٩ (...) أتمَّ السلاجقة بناء المدرسة النظامية في بغداد وجعلوها مركزاً للتعليم السني ولنصرة المذهب الأشعري على حركة المعتزلة التي كانت قوية جداً في أيام البهويين» .

الذي شاد المدارس النظامية هو الوزير السلجوقي نظام الملك ، وهو شافعي أقام المدارس للشافعية فقط .

وهل كانت حركة المعتزلة قوية جداً في أيام البهويين ؟ أشك في ذلك !

٢٢ ــ ص ١٦١ : «أبو غالب أحمد بن سهل ، يعرف بابن بُشران (وابن بُشران جده لأمه) (...) أصله من إحدى قرى نهر سابس (شمال واسط) ...» ــ مصادره : معجم الأدباء ١٧ : ٢١٤ ــ ٢٢٤ .. الأعلام للزركلي ٦ : ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

الصحيح أنه محمد بن أحمد بن سهل وليس «أحمد بن سهل» .

وورد «ابن بشران» في أعلام الزركلي مفتوح الباء .

٢٣ ــ ص ١٦٦ ، صرّدر ، ص ١٧٠ ، الباخرزي ص ١٩١ ابن الشبل البغدادي ، ص ٢١٦ الأبيوردي ، ص ٢٢٢ ، ابن الهبارية . ص ٢٣٢ ، الطغرائي . ص ٢٦٥ ، الغزي . ص ٢٧٣ ، البارع . ص ٢٧٥ ، ابن أفلح . ص ٢٩٠ ، الأرجاني . ص ٣١٤ ، ابن القطان . ص ٣٤٤ ، الحظيري .

أ ــ هؤلاء كلهم مرجع جامع يذكر لهم الكثير من المصادر .. لم يذكره المؤلف ، والكتاب هو «الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي في أواسط القرن الخامس إلى أواسط القرن السادس» بغداد ، ج ١ سنة ١٩٥٨ ، ج ٢ سنة ١٩٦٠ .

ب ــ قال عن الباخرزي « ... السِنْخي نسبة إلى السِنخ إحدى قرى خراسان» .

الصحيح : السنجي نسبة إلى السنج .

جـ ــ وقال في آثاره ص ١٧٤ : «ملتقطات (مقتطفات) من شعر الباخرزي (في ذيل الخريدة) .

الصحيح : في ذيل الدمية ط . الطباع ، حلب ...

د ــ لم يذكر في مصادر ابن الشبل : الدمية والخريدة .

هـ ــ عن الأبيوردي ص ٢١٦ : «كان مولده في قرية كوقن (وفيات ٢ : ٣٨٤) وهي قرية قرب أبيورد» .

الصحيح : كوفن ــ بالفاء وليس بالقاف ــ والخطأ يرجع إلى نسخة وفيات الأعيان التي اعتمد عليها .

و ــ ص ٢١٧ «بِرْقياروق» : بركياروق .

ز ــ ص ٢١٧ «أشراف مملكة السلطان» : إشراف ...

ح ــ ص ٢١٩ ذكر للأبيوردي القصيدة الميمية :

وشر سلاح المرء دمع يفيضُه إذا الحرب شبّت نارها بالصوارم .

وهي مشكوكة النسب إليه .

ط ــ ص ٢٢١ ذكر في مؤلفات الأبيوردي المطبوعة : «المختلف والمؤتلف (حققه مصطفى جواد) مطبوع مع المختلف والمؤتلف لابن الصابوني ، بغداد (المجمع العلمي العراقي) ١٩٥٧ م » .

والمختلف والمؤتلف غير مطبوع ، ولعله مفقود . واسم كتاب ابن

الصابوني الذي حققه مصطفى جواد : تكملة إكمال الإكمال — بغداد ، المجمع العلمي العراقي ١٩٥٧ .

ي — ص ٢٢٢ : «الأبيوردي ممثل القرن الخامس في تاريخ الفكر ، تأليف ممدوح حقي ...»

كتاب الأبيوردي هذا يقول إنه «ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي » !

ك — ص ٢٣٢ — ٣ «الطغرائي (...) القصيدة اللامية (...) وقد سمّاها لامية العجم ...»

لم يسمها الطغرائي لامية العجم — وكتابُ «الطغرائي : حياته ، شعره ، لاميته» مذكورة في مراجعه !

٢٤ — ص ١٧٦ ، الشريف البياضي . ص ١٩٩ ، ابن ناقيا البغدادي . ص ٢٠٨ ، ابن أبي الصقر الواسطي . ص ٢٣٥ ، السنبسي . ص ٢٣٧ ، أبو الجوائز الطاميري . ص ٢٦٨ ، ابن حكينا البغدادي ، ص ٢٦٨ . ص ٢٩١ ، أبو علي ابن الأخوة . ص ٢٩٩ ، فضل الله الراوندي .

ورد تعريف بهم وبمصادرهم في الكتاب الذي سبقت الإشارة إليه — ولم يذكره المؤلف : وهو كتاب «الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي» جزءان ، بغداد ، ١٩٥٨ — ١٩٦٠ .

٢٥ — ص ١٨٣ : «عبد القاهر الجرجاني (...) لم ينل حظوة عند الممدوحين ...»

أورد حَظوة ، هكذا بفتح الظاء .

وفي القاموس : الحظوة بالضم والكسر (...) والحَظوة [بالفتح] وبضم سهم صغير يلعب به الصبيان ، وكل قضيب نابت في أصل شجرة لم يشتدَّ بعد ...»

٢٦ — ص ٢٠٦ : «قال ظهير الدين الروزراوري» .

الصحيح كما وردت في أماكن أخرى : الروذراوري — والخطأ مطبعي يرجع إلى لسان عامل المطبعة . حين يقلب الذال زاياً .

٢٧ — ص ٢١١ — ٢١٣ «ابن الخطيب التبريزي هو أبو زكريّا يحيى بن علي ...»

يلح المؤلف على أنه «ابن الخطيب التبريزي» وليس «الخطيب التبريزي» ولا وجه للإلحاح لأن المصادر مجمعة على أنه «الخطيب» وليس «ابن الخطيب» .

ويمضي المؤلف في إلحاحه بحيث يتدخل في النصوص ، فإذا قال ابن خلكان «... الخطيب التبريزي (...) وكان الخطيب المذكور قد دخل مصر في عنفوان شبابه (...) ثم عاد إلى بغداد» قال عمر فروخ : في وفيات الأعيان (٣ : ٢٠٥) : دخل (ابن الخطيب التبريزي) مصر في عنفوان شبابه ..!!

نكرر أنه الخطيب ، لأن فروخ يكرر أنه ابن الخطيب . وإذا كان لابد من الاستدلال على أنه الخطيب فإن ابن خلكان يقول : «أبو زكريا يحيى بن علي (...) المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة» ...

٢٨ — ص ٢٣٢ : «الطغرائي (...) تولى ديوان الإنشاء وديوان الطُرَّة لمحمد بن ملك شاه .

لا يوجد ديوان باسم ديوان الطُرَّة ، وإنما هو ديوان الطغراء ، والطغراء هي الطُرَّة التي تكتب في أعلى البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه» والطغرائي نسبة إلى من يكتب الطغرى وهي الطرة — ينظر ابن خلكان في ترجمته للحسين بن علي الطغرائي .

والمألوف في كتابة ملك شاه : ملكشاه

٢٩ — ص ٢٣٢ : «الطغرائي (...) تولى ديوان الإنشاء وديوان الطُرَّة (×) لمحمد بن ملك شاه . مدة ملكه كلها . ولما توفي محمد سنة ٥١١ هـ (١١٨ م) خلفه ابنه محمود ، وبقي ابنه الآخر مسعود في الموصل ، وكان الطغرائي مع مسعود . ثم نازع مسعود أخاه محموداً في العرش وتحاربا قرب همذان فقُتِلَ مسعود وقُتِلَ الطغرائي معه في المعركة في الأغلب ، وذلك سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م)...»

لقد وقعت المعركة فعلاً ، وهي مفصلة في كتب التاريخ ، ومنها «الكامل» لابن الأثير . وقعت المعركة سنة ٥١٤ . ولم يقتل فيها مسعود ، فلقد «تصالح» الأخوان . ولم يقتل الطغرائي في المعركة ، وإنما قتل بعد انتهائها ، إذ حكم عليه السلطان محمود بالقتل فقتل صبراً .

٣٠ — ص ٢٦١ : «قال طلحة النعماني يمدح عماد الدين طاهر بن محمد الأصفهاني الفَزاري» وردت الفَزاري بالفتح ، وهو الصحيح جاء في «القاموس» : الفزارة كسحابة وهي أُنثى النمر .. وبلا لام أبو قبيلة من غَطَفان — اذكر هذا تنبيهاً لمن قد يخطيء (عادة) .

٣١ — ص ٢٦٨ — ٢٦٩ : «ابن حكينا البغدادي هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بابن حِكّينا البغدادي الحريمي» «الحريمي نسبة إلى حريم ، وهي محلة في بغداد» ، ووردت ص ٢٦٩ «حِكّينا» ثانية بكسر الحاء وتشديد الكاف .

أ — لم يذكر في مصادره أهم المصادر وهي الخريدة ، قسم العراق ٢٣٠/٢ — ٢٤٨ . ويذكر الأثري في حاشية له : «وحكينا اضطربت النسخ والكتب في كتابتها (...) وحسم الزبيدي هذه الشكوك فقال في مستدركاته (تاج العروس ١٨٣/٩) : «ومما يستدرك عليه أيضاً : «حكينا» بكسرتين مشدّدة الكاف : لقب ،

وابن حكينا : شاعر معروف» .

ب ــ ليست «حريم» وحدها اسم المحلة وإنما الاسم : الحريم الطاهري وابن حكينا «من الحريم الطاهري» .

٣٢ ــ ص ٢٧٣ «البارع البغدادي (...) كان بين البارع البغدادي وبين الشريف أبي يَعْلى ابن الهَبّارية صداقة وصحبة ومداعبات (...) رد البارع البغدادي على أبي يَعْلي ...»

أ ــ وهكذا كتبها في المرة الثالثة بالياء والصحيح الألف «يعلى» ــ وربما وردت في بعض المخطوطات «يعلا» وفي ذلك ما يؤكد الألف .

ب ــ لم يرجع في مصادره إلى خريدة العراق ، وليست هذه المرة الأولى أوالأخيرة التي يفوته فيها الرجوع إلى مصدر أوّلي مهم جداً كالخريدة ــ خريدة العماد ..

٣٣ ــ ص ٢٩١ : «أبو علي بن الأُخوة (...) الأُخوة ...»

وهكذا لا يوردها إلّا مضمومة الهمزة ، مع أن الهمزة قد تكسر وقد يغلب الكسر الضم .

جاء في مختار الصحاح «اخوة بكسر الهمزة وضمها أيضاً عن الفراء» وفي القرآن الكريم : ﴿فإن كان له إخوة﴾ بالكسر .

٣٤ ــ ص ٣١٤ ــ ٣١٥ : «ابن القطان ... هبة الله بن الفضل (...) هجا قاضي القضاة شرف الدين عليَّ بن طراد الزَّينبي بقصيدة أولها :

يا أخـي ، الشرطُ أمـلَكَ لَسْتِ للثـلْـبِ سأتـرُكْ

وهي طويلة تبلغ مائة وثمانية عشر بيتاً تناقلها الرواة ، فحبسه الزينبي عليها مدة (وفيات الأعيان ٢ : ١١٦ ، راجع ١١٩) .

رجعنا إلى وفيات الأعيان ط . الوطن ، وهي الطبعة التي يرجع إليها عمر فرّوخ ويحيل عليها فوجدنا ترجمة ابن السوادي (٢ : ١١٥ ــ ١١٦) وفيها :

ابن السوادي هذا هو «أبو الفرج العلاء بن علي .. الواسطي المعروف بابن السوادي الكاتب الشاعر . كان شاعراً فاضلاً ظريفاً خليعاً مطبوعاً ...» و «كان أبو القاسم هبة الله بن الفضل المعروف بان القطان الآتي ذكره في حرف الهاء (...) قد هجا قاضي القضاة الزينبي بقصيدته الكافية التي أولها :

يا أخـي الشرط أمـلك لست للثـلـب أتـرك

وهي طويلة عدد أبياتها مائة وثمانية عشر بيتاً وتناقلتها الرواة وسارت عنه . فبلغ ذلك الزينبي المذكور فأحضر ابن الفضل وصفعه وحبسه مدة ثم أفرج عنه ...» ــ توفي ابن السوادي سنة ٥٥٦ .

ويهمنا جداً رواية البيت ثم إنها «لستُ» بضمير المتكلم وليست «لستِ» !

٣٥ ــ ص ٢٧١ ــ ٢٧٢ : «البديع الأُسطرلابي هو بديع الزمان هبة الدين الحسين (...) وتوفي البديع الإسطرلابي (...) في بغداد (...) وللبديع الاسطرلابي مصنفات منها : اختصار ديوان أبي عبد الله الحسين بن الحجاج وقد سماه درة التاج من شعر ابن الحجاج ..»

أ ــ وردت الاسطرلابي مرة بهمزة مضمومة ومرة بهمزة مكسورة . ويقول ابن خلكان : «والأَسْطُرلابي بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء وبعدها راء ، ثم لام ألف ثم باء موحدة . وهذه النسبة إلى الاسطرلاب وهو الآلة المعروفة (...) إن الاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس ...» في الفلك ...

ب ــ اختصار : اختيار . لأنه لم يختصر الديوان وإنما اختار منه ما يراه الأنسب والأحسن والأدل ومن هنا اسمه : درة التاج ...

٣٦ ــ ص ٢٧٣ : «البارع البغدادي هو أبو علي الحسين بن محمد (...) كانت وفاته في ٢٧ جمادى الثانية في الأغلب من سنة ٥٣٤ (...) من شعره (...) :

يا ابن ودّي ، وأين مني ابن ودّي ؟ غيّرت طبعه الرياسة بعدي ...»

أ ــ يقول ابن خلكان وهو من هو في ضبط «الوفيات» : «توفي يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الآخرة وقيل الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة» .

وقبله قال العماد ــ وهو مصدر أولي ــ في الخريدة : «توفي (...) سنة أربع وعشرين وخمس مئة» ومثله قول ياقوت في معجم الأدباء ــ وما من شك في سنة الوفاة (٥٢٤) وليس (٥٣٤) ــ وقد يكون الخطأ مطبعياً .

ب ــ البيت «يا ابن ودي .. طبعَه ...» رواية معجم الأدباء ط . دار المأمون . وفي وفيات الأعيان ط . الوطن : «يا ابن ودي .. طرفه» ــ وط . الوطن كثيرة الخطأ والتصحيف والأولى أن تكون روايتها : طرقه .

٣٧ ــ ص ٢٨١ : «الجواليقي أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد الجواليقي ، نسبة إلى الجواليق (...) تلقى علوم الحديث واللغة والنحو والأدب على نفر من علماء عصره منهم أبو الفوارس طرّاد بن محمد بن علي الزَّينبي (ت ٤٩١ هـ) نقيب النقباء في بغداد (...) ومنهم أبو زكريا يحيى بن علي المعروف بابن الخطيب التبريزي (...) تصدر الجواليقي في بغداد للتدريس (...) فأخذ عنه كثيرون (...) منهم أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ...»

أ ــ يكرر أنه الجواليقي ، والذي يفهم من ترجمته أن الأولى أن يكون ابن الجواليقي ، فهكذا ــ مثلاً ــ يرد عند ابن خلكان ط .

الوطن ٣٦/٣ ، ابن الجواليقي .
ب ــ طَرّاد ضبطها بفتح الطاء وتشديد الراء والمعروف كسر الطاء وفتح الراء ، فهو طِراد . ويقول الأثري محقق الخريدة (١/هـ ٢٠٩) : «طراد بوزن كتاب ...» وكذا ورد في أعلام الزركلي .
جـ ــ نقيب النقباء : في رواية ابن خلكان أنه قاضي القضاة . وإن كان للزينبي نقابة النقباء .
د ــ ابن الخطيب التبريزي : الخطيب التبريزي فهو هكذا في رواية ابن خلكان وفي الروايات كلها . وقد رأينا ذلك .
هـ ــ أبو البركات ابن الأنباري : أبو البركات الأنباري .
٣٨ ــ ص ٢٩٠ : «الأرجاني (...) تولى القضاء (...) في عسكر مُكْرِم ...»
ضبط البلدة بكسر الراء فلم لا تكون بفتحها ؟ ومكرم اسم علم الشخص .
٣٩ ــ ص ٣٠٦ : «يحيى بن سلامة (...) الخطيب الحصكفي ولد في طنزة ، وهي بليدة صغيرة في جزيرة ابن عمر (شمالي الشام والعراق) سنة ٤٥٩ هـ (...) ونشأ في حُصن كيفا (...) كان الحصكفي شاعراً وخطيباً ومترسلاً.
أ ــ قال ابن خلكان (٢١٦/٣) «والحصكفي بفتح الحاء وسكون الصاد المهملة وفتح الكاف وفي آخرها فاء . هذه النسبة إلى حصن كيفا وهي قلعة شاهقة ، بين جزيرة ابن عمر وميافارقين ...» .
أقول : إذا كان ذلك كذلك فالحصن ــ كما هو ثابت لغوياً ــ مكسور الحاء وتكون القلعة حِصن كيفا بكسر الحاء ، والنسب إليها الحِصكفي مكسور الفاء كذلك ــ هذا إذا أردنا القياس .
ب ــ وقال ابن خلكان (٢١٦/٣) : «وأما طنزة فهي بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي في آخرها هاء ساكنة ، وهي بليدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية» .
فهي ــ على هذا ــ ليست في جزيرة ابن عمر . وهي ليست في شمالي الشام والعراق وإنما هي في شمال ...
جـ ــ كان الحصكفي شاعراً وخطيباً ومترسلاً . كان شاعراً خطيباً مترسلاً ــ ولا موجب لواوات العطف لأنه ــ كما يلاحظ اللغويون ــ واحد .
٤٠ ــ ص ٣٦٩ ــ ٣٧١ : «حيص بيص (...) يقال إنه غريب الأطوار ..»
أ ــ من قال إنه غريب الأطوار ؟ وإنه كذلك بدون «يقال» .
ب ــ كيف نذكر مصادره ولا نذكر خريدة العماد ؟
جـ ــ طبع له في بغداد «ديوان ... حيص بيص» .
٤١ ــ ص ٣٧١ : «كمال الدين ابن الأنباري هو كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن (...) الأنباري ، ولد في الأنبار ...» .
هو الأنباري وليس ابن الأنباري .
٤٢ ــ ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥ : «الأبله البغدادي هو أبو عبد الله محمد ابن بختيار (...) قال الأبله البغدادي يتغزل في مطلع قصيدة له في المديح :

ومهفهف ساجي اللحاظ : حفظته فأضاعني ، وأطعته فعصاني
يا أهل نعمانٍ ، إلى وَجَناتِكم تُعزى الشقائق لا إلى نُعمان

وفي الحاشية : «نَعمان (بفتح أوله) واد قرب مكة . إلى وجناتكم الحمر تنسب شقائق النعمان لا إلى نُعمان (بضم أوله : النُّعمان بن المنذر) » .
لا وجه يذكر لنَعمان (بفتح أوله) واد قرب مكة . ولنا أن نلاحظ في الوجه أن يكون «نعمان» هذا هو الغلام الذي يتغزل به الشاعر وقد وصفه وجره الوصف إلى وجناته .. ويحسن ــ إذا قبل ذلك ــ أن يأتي بضم النون ــ لأنه اسم علم ــ ومن ثم يكون الجناس تاماً .
٤٣ ــ ص ٣٨٩ ــ ٣٩٣ «سبط ابن التعاويذي (...) ديوان سبط ابن التعاويذي (بعناية مرغوليوث)، القاهرة (مطبعة المقتطف ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) ، (نشره يوسف يعقوب مسكوني) ...» .
لا وجه هنا لنشره يوسف يعقوب مسكوني ، لأن يوسف يعقوب مسكوني لم ينشر ديوان سبط ابن التعاويذي .
٤٤ ــ ص ٤٢٠ : وهو يذكر مؤلفات العماد الأصفهاني وطبعها قال : «نصرة الفطرة وعصرة القطرة ، القاهرة ١٣١٨ هـ» . وفي هذا ما يوهم بأن الكتاب مطبوع ، وهو غير مطبوع ! إن الذي طبع من الفطرة في ليدن ، والقاهرة ، هو زبدة النصرة ، أي المختصر الذي عمله البنداري من «نصرة الفطرة» أو «نصرة الفترة» .
٤٥ ــ ص ٤٦٦ ــ ٤٦٩ : ذكر مؤلفات العكبري وكرر «التبيان في شرح الديوان ــ ديوان المتنبي » طبع ...
وقد أثبت مصطفى جواد ــ ينظر بحثه في مجلة المجمع العلمي العراقي ــ أن هذا المطبوع المنسوب إلى العكبري ليس من مؤلفات العكبري ! وإنما هو لابن عدلان الموصلي .
٤٦ ــ ص ٤٩٧ : ذكر مؤلفات البنداري فقال : «تواريخ آل سلجوق ...» وحقيقة الكتاب : الزبدة من النصرة ــ فهو اختصار كتاب للعماد الأصبهاني باسم النصرة ــ «نُصرة الفترة (أو الفطرة) وعصرة القطرة» .
٤٧ ــ ص ٥١٠ : ذكر «ديوان ... أبي عبد الله محمد بن علي بن المقرب .. بن إبراهيم القليوبي الأحسائي ، مكة (المطبعة الميرية) ١٣٠٧ هـ ، بومبي ... دمشق» .

أ ــ لا وجه للقليبوني ، ولعلها العيوني . والعيون بلدة في الأحساء ، وابن المقرب عيوني أحسائي .
ب ــ لا بد من ذكر الطبعة التي حققها عبد الفتاح محمد الحلو ..
٤٨ ــ ص ٥٩٠ : «الإسعردي (...) محمد بن عبد العزيز ... الإسعردي» وفي الحاشية : «اسعرد (بكسر الهمزة والعين) بلد في ديار بكر (شمالي العراق) قريباً من آسية الصغرى .
ديار بكر شمال العراق ، وليس شماليه ، وهي الآن سياسياً في تركية .
٤٩ ــ ص ٧٠٦ ــ ٧١٢ : «محمد بن دانيال» .
لم يذكر مجموع شعره ــ وهو مطبوع .

٥٠ ــ ينتهي الكتاب ــ وهو الجزء الثالث من تاريخ الأدب العربي ــ بالفتح العثماني سنة ١٠٠٩ هـ/١٥١٧ م ــ وكنا ننتظر أن يكون الجزء الرابع (أو الرابع والخامس) في أدب العصر العثماني ثم العصر الحديث ، ولكن الذي حدث أن المؤلف وقف حيث انتهى الجزء الثالث وجعل أجزاءه الباقية للأدب في المغرب والأندلس ، هي ثلاثة أجزاء أخرى صدر أولها سنة ١٩٨١ ــ توفي المؤلف سنة ١٩٨٧ .

حجية السنة

لعبد الغني عبد الخالق
الحسين شواط
ماجستير في السنة وعلومها - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عبد الخالق ، عبد الغني / حجية السنة .ــ واشنطن : المعهد العالي للفكر الإسلامي ، ١٩٨٦ م ، ٥٩٨ ص .

إن الأزمة التي يعيشها المسلمون اليوم هي أزمة فكر بالدرجة الأولى ، حيث ضعفت صلة المسلمين بتراثهم الفكري ، وقلّت عنايتهم بأصوله وتحرّيهم المناهج القويمة لفهم تلك الأصول والتعامل معها ، فنتج عن ذلك غياب المفاهيم والقيم الإسلامية الصحيحة ، وحلّ محلها ركام من المفاهيم والسلوكيات الغريبة عن الإسلام ، وصارت الهوة تتسع يوماً بعد يوم بين المسلمين وبين دينهم وفكرهم الأصيل ، الذي ينبغي أن يستمد من الكتاب والسنة أساساً ثم من إجماع علماء المسلمين ، واجتهادات علماء السلف .

وليس هناك من طريق للعودة العامة الشاملة الواعية إلى الإسلام إلا بنفض الغبار عن الفكر الإسلامي والانطلاق في حركة فكرية تصحيحية لإحياء المفاهيم الإسلامية الصحيحة . وتأصيلها في ضوء النصوص الشرعية .

ولا شك أن الخطوة الأولى تتمثل في إعادة الاعتبار لدلالة النص الشرعي وحجيته لدى المسلمين حتى يتوافر لديهم يقين جازم بذلك ووعي شامل بما يترتب عليه من التغيير في حياتهم على مستوى الفكر والسلوك ، فيكون ذلك منطلقاً لصحة الفهم وسلامة التعامل ، ومن ثم الانطلاق الصحيح لإعادة الحياة الإسلامية على علم وهدى وبصيرة .

وإذا كان الأمر واضحاً بالنسبة للقرآن الكريم فإنه بالنسبة للسنة المطهرة لا يزال بحاجة إلى جهد كبير ، وذلك بسبب خفاء منزلتها الشرعية على كثير من المسلمين من أجل تركيز أعداء الإسلام ــ في مختلف العصور ــ على بثّ الشبهات حولها ومحاولة تشويهها والتشكيك في دلالتها الشرعية ووجوب العمل بها ، ليصلوا بذلك إلى الطعن في القرآن الكريم وفي الإسلام عامة ، لأن السنة شقيقة القرآن لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر ، فمن طعن في أحدهما أو شكك فيه فقد فعل ذلك بداهة بالنسبة للثاني .

وفي هذا الإطار ، إطار خدمة السنة النبوية ، وبيان حجيتها ، وتجلية مكانتها في الإسلام ، وإبراز دورها التشريعي ، وتحقيق القول في كل ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، يأتي نشر هذا الكتاب القيم وتقديمه للغيورين على الإسلام ، الحريصين على إعادة

دوره الريادي في العالم كبديل حضاري شامل لما تتخبط فيه البشرية من أفكار ومذاهب وضعية لا يزداد الناس بتبنّيها وممارستها إلا شقاء .

فالكتاب إذن يعالج قضية حيوية خطيرة تهم كل مسلم ، تلكم هي مسألة «حجية السنة» أي بيان أن السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ دليل شرعي موجب للعمل .

وقد زاد من أهمية الكتاب أنه عولج بيد أمينة ، وعقلية نيرة ، وحماسة ملتهبة ، وحب للإسلام ، وحرص شديد على نصرة قضاياه ، وتجلية معالمه ، وقد جمع المؤلف إلى ذلك كله علماً شرعياً راسخاً ، واطلاعاً واسعاً ، ومنهجية واضحة وقوة استدلال ، ولغة سلسلة ، وقد رتب معلومات الكتاب ترتيباً منطقياً ، مؤسّساً المسائل على أدلتها ، وقد حلّى كل ذلك بما اتصف به من الدقة والموضوعية والأمانة العلمية ، مع بروز ظاهر وحضور دائم لشخصية المؤلف في مناقشاته ومتابعاته وترجيحاته .

وليس ذلك بغريب من عالم معروف ، تابع تحصيله العلمي بتفان وجد ونشاط ورغبة وحماسة إلى أن أصبح في عداد كبار علماء هذا العصر وخيرة أساتذة الجامع الأزهر ، وقد ترك ــ رحمه الله تعالى ــ مجموعة من المصنفات والتحقيقات والبحوث القيمة ، أفاد منها الأساتذة والباحثون من طلبة العلم ، من بينها كتاب حجية السنة الذي نعرف به ، وقد نال به شهادة الدكتوراه في أصول الفقه ، كما تخرج على يديه كثير من العلماء ما زالوا يسهمون في خدمة الإسلام .

ويعتبر كتاب «حجية السنة» ــ بحسب علمي ــ أهم كتاب **أفرد** لخدمة هذه القضية الأصولية الخطيرة ، وقد حقق الغاية من تأليفه ، حيث أحاط بجوانب القضية وجمع شواردها ، وألّف ــ بإحكام ودقة ــ بين جزئياتها ، وقربها إلى طالبيها ، وحسم الأمر في كون السنة دليلاً شرعياً كالقرآن الكريم في إيجاب العمل ، فأنار بذلك السبيل للمسلمين ، ووفّر عليهم جهد النظر في هذه القضية لتنصرف الطاقات إلى بحث المسائل الأخرى الكثيرة التي تنتظر الحل ، والتي من أهمها : البحث عن المنهج الصحيح في تنزيل نصوص السنة على وقائع حياتنا المعاصرة لتطبيقها وفق مراد الشارع .

وقد بحث المؤلف موضوع «حجية السنة» من خلال مقدمتين وثلاثة أبواب وخاتمة .

تعلقت **المقدمة الأولى** بمعاني السنة ، حيث فصل المؤلف القول في المفهوم اللغوي للسنة ، ثم بيّن معنى السنة عند الفقهاء من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ، متتبعاً أقوال أهل كل مذهب في هذه المسألة مورداً أدلة كل منهم ، والاعتراضات التي قد ترد على بعض آرائهم مع النقد والتمحيص والتحقيق في كل ذلك ، ثم ختم هذا المبحث بإيراد إطلاق عام للسنة عند الفقهاء .

ثم انتقل إلى الكلام على معنى السنة في أصول الفقه ، وأورد تعريفات الأصوليين المختلفة لها ، مبيّناً محترزاتها ، مع التنبيه على الاختلاف بينها وما ورد على بعض ألفاظها من الاعتراضات ، مع مناقشتها والجواب عما لا يسلّم للمعترض ، مستدلاً وممثلاً لما يقول ، مع استفادة من كثير من القواعد الأصولية ، وبعض الإضافات النبيهة التي لا نعثر عليها في كتب الأصول .

وبهذا أمكن للمؤلف أن يبرز بكل وضوح المعنى الأصولي للسنة ، ويميزه عن معاني السنة في الاصطلاحات الأخرى ، وتمكن بذلك من إقناع القارىء بأن المعنى الأصولي هو المناسب في مسألة الحجّية ، وهو : «إن السنة هي ما صدر عن رسول الله ﷺ من فعل أو قول أو تقرير» .

أما **المقدمة الثانية** فقد محضها المؤلف للكلام على عصمة الأنبياء باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه سائر أدلة حجية السنة ، بل هي العمدة في إثبات هذه الحجية .

وقد بدأ هذا المبحث بإيراد الأقوال المختلفة في تعريف العصمة مع أدلتها والتعليل لها ، ومناقشتها ، وما اعترض به بعض أصحاب تلك الأقوال على بعض محرراً القول في كل ذلك .

ثم انتقل إلى الكلام على ما عصم منه الأنبياء . وقد أطال هذا المبحث وقسمه إلى قسمين : تحدث في أولهما عن عدة مطالب أولها : وجوب عصمة الأنبياء عن أي شيء يخل بالتبليغ ككتمان الرسالة أو شيء منها ، والجهل بأي حكم أنزل عليهم والتقصير في تبليغه ونحو ذلك ، وقد أجمع على هذا أهل الشرائع جميعاً ، وهو ثابت لنبينا محمد ﷺ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

وأما المطلب الثاني فقد بين فيه وجوب عصمة الأنبياء من الكذب فيما طريقه البلاغ ولو على سبيل الغلط أو السهو .

وفي المطلب الثاني تحدث عن عصمة الأنبياء من السهو في الأفعال البلاغية ، وبين أن الأكثرين على جواز صدور مثل هذا السهو لما يترتب عليه من بيان حكم شرعي ، مع اتفاقهم على اشتراط أنهم لا يقرّون عليه ، بل ينبهون ويعرّفون حكمه على الفور ، غير أن التحقيق أن جواز السهو هنا يشمل الأفعال البلاغية التي لم يقصد بها تعليم الأمة بأن يكون قد كررها قبل ذلك حتى رسخت في نفوس الأمة ، ولا يقع أبداً على ما قصد به التعليم ابتداء .

أما القسم الثاني فقد خصصه للكلام على العصمة مما لا يخلّ بالتبليغ ، وذلك من خلال مبحثين ، تحدث في أولهما عن عصمة

الأنبياء من المعاصي قبل البعثة ، ونقل الإجماع على وجوب عصمتهم من الكفر قبل النبوة ، أما سائر الكبائر فلم يقم دليل سمعي على عصمة من سبق من الأنبياء منها ، والحق منع وقوع ما يوجب النفرة منهم ، أما نبينا محمد ﷺ فلك أن تقول إن الدليل السمعي قد قام على عصمته ﷺ من المعاصي قبل البعثة وهو قوله تعالى : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ .

أما من الناحية العقلية فأكثر أهل السنة على جواز أن يرسل الله من وقع منه قبل البعثة شيء من المعاصي . وقد أورد المؤلف الأقوال المختلفة مع الرد على المرجوح منها .

وفي المبحث الثاني تحدث عن عصمة الأنبياء من المعاصي بعد البعثة ، وبدأ بإيراد المذاهب في عصمتهم من الكفر ، منتصراً لمذهب أهل السنة ، وهو وجوب عصمتهم من الكفر بعد البعثة مطلقاً .

ثم ذكر المذاهب المختلفة وأدلتها في عصمة الأنبياء من سائر المعاصي غير الكفر مفصّلاً في كل ذلك ، ومبرزاً مذهب الجمهور مع دليله ، وهو : أنه يمتنع عليهم تعمّد الكبيرة والصغيرة الخسيسة ، ويجوز عليهم عدا ذلك : من تعمّد غير الخسيسة بلا إصرار ، ومن السهو في الجميع ، مع أنهم ينبهون فينتهون ويرشدون الأمة في ذلك .

ثم تحدث عن وجوب عصمتهم من المكروه أيضاً ، وجواز وقوع المباح منهم ، إلا أنهم خصوا به من العلم بالله والتعلق بما عنده لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات .

أما عدم علمهم بشيء مما لم ينزل عليهم من بعض أمور الدنيا فجائز ، ولا وصم عليهم في ذلك .

ثم انتقل إلى الكلام على عصمة الأنبياء من الخطأ في الاجتهاد ، وفصل القول في ذلك بإيراد المذاهب المختلفة وأدلتها مع المناقشة والترجيح ، وذلك من خلال أربعة مطالب :

١ ــ إمكان الاجتهاد من الأنبياء وقدرتهم عليه ، وهذا أمر واضح متفق عليه .

٢ ــ جواز أن يتعبدهم الله بالاجتهاد . وقد أورد المؤلف المذاهب في ذلك بأدلتها ، والمذهب الراجح المختار الذي عليه الجمهور ، هو جواز ذلك مطلقاً ، وأنه وقع بالفعل ، ووجب العمل بما أدى إليه اجتهادهم .

أما الخطأ في اجتهاد النبي فجائز غير أنه ينبه عليه فوراً ؛ لئلا يقتدى به في الخطأ .

وبعد ذلك انتقل المؤلف إلى الكلام على لبّ الكتاب ، وهو «حجية السنة» ، وذلك من خلال تمهيد وثلاثة أبواب .

أما التمهيد فقد بيّن فيه المراد من «حجية السنة» وهو : وجوب العمل بمقتضى ما ثبت منها عن رسول ﷺ بطريق معتبر .

وفي **الباب الأول** فصّل القول في بيان أن حجية السنة ضرورية دينية ، وأنه لم يقع فيها خلاف بين المسلمين ، ونقض ما وهم بعضهم في إيراده من القول بوجود من أنكر حجية السنة في العهود الأولى .

وقد ذكّر في مطلع الباب بأن الاستدلال بالسنة يتوقف على أمرين :

١ ــ ثبوت أنها أصل من أصول التشريع .

٢ ــ ثبوت صدورها عن النبي ﷺ بطريق من طرق الرواية المعتمدة .

ثم أماط اللثام عن خيط رفيع تسبب عدم وضوحه لدى الكثيرين في الوقوع في الخطأ في مسألة الحجية ، ذلكم هو التفريق بين كون السنة من حيث صدورها عن النبي ﷺ حجة ، وبين اختلاف العلماء في الطرق المعتمدة في قبول الأخبار وإثبات نسبتها إلى النبي ﷺ ومن ثم صحة الاحتجاج بها .

وبين بالأدلة أن **المسألة الأولى** ، وهي حجية السنة جملة من حيث صدورها عن النبي ﷺ لم يخالف فيه أحد من أهل القبلة ، وقد وهم من نقل ذلك ، فإن الأصول المعتمدة في هذا الباب لم تشر إلى شيء من ذلك ، بل إنهم لم يحتاجوا إلى كثير بيان في هذه المسألة ، ولا أطنبوا في سياق الأدلة عليها لبداهتها في الفكر الإسلامي ، وعظم شأنها وشهرتها عن أن ينازع فيها منازع أو يتوقف فيها متوقف .

أما **المسألة الثانية** فقد ورد فيها خلاف بين أهل العلم ، وليس ذلك من الخلاف في حجية السنة في شيء ، فإنهم إنما اختلفوا في ذلك بعد اتفاقهم على أن السنة حجة شرعية .

وقد برع المؤلف في بيان هذه المسألة ، وتحقيق القول فيها بتفصيل لم يسبق إليه مع أدلة قوية ، وبراهين قاطعة ، مزيلاً بذلك الالتباس الذي وقع فيه كثير من علماء هذا العصر في مسألة حجية السنة لخطئهم في فهم كلام بعض السلف ، ولعدم تنبههم إلى الفرق بين إنكار حجية السنة وبين إنكار حجية بعض الأخبار الواردة بطرق غير معتمدة .

وقد بين بياناً شافياً أن السنة ضرورية دينية ، يتوقف عليها العلم بكم هائل من الأحكام التي أجمع الفقهاء على أنها من المعلوم من الدين بالضرورة كعدد ركعات الفرائض ، ومن ثم فإن إنكار حجيتها موجب للردة .

أما من غير المسلمين فقد أنكر حجية السنة : الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ، وهؤلاء لا قيمة لخلافهم في أمور ديننا ، غير أن

كثيراً من المعاصرين من المنتسبين إلى الإسلام زوراً وتلبيساً ممن تتلمذوا في مدارس الغرب الصليبي والشرق الشيوعي ، فقد رجعوا إلى البلاد الإسلامية لتنفيذ تعاليم أساتيذهم بالطعن على الفكر الإسلامي ، فنادى كثير منهم — كيداً وحقداً وغباء — بالاقتصار على القرآن وترك السنة لعدم حجيتها ، وقد تصدى لهم — بحمد الله تعالى — كثير من العلماء[1] منهم مؤلف هذا الكتاب الذي نعرف به .

وبعد أن فرغ المؤلف من تقرير أمر حجية السنة بإجماع المسلمين ، انتقل إلى **الباب الثاني** ، وفيه أورد أدلة حجية السنة ، بتفصيل ووضوح ، وقوة استدلال ، جامعاً شتات المسألة ، وضاماً لنشرها .

وقد ساق للاستدلال في هذه المسألة سبعة أنواع كبرى من أصول الاستدلال مفصلاً القول في كل منها ، وهي :

١ — عصمة النبي ﷺ من تعمد ما يخل بالتبليغ إجماعاً بدلالة المعجزة ، ومن السهو والغلط فيه على الصحيح .

٢ — تقرير الله عز وجل تمسّك الصحابة بالسنة ، وأمر النبي لهم بذلك ، وحرصهم عليه .

٣ — القرآن الكريم ، وقد أورد المؤلف خمسة أنواع من الاستدلال بالقرآن على هذه المسألة ، واستدل لكل نوع بعدد من الآيات مع بيان وجه الاستدلال بها ، ونقل أقوال العلماء في ذلك :

النوع الأول : ما يدل على وجوب الإيمان به ﷺ والإذعان لرسالته .

النوع الثاني : ما يدل على أن الرسول ﷺ مبين للكتاب وشارح له شرحاً معتبراً عنده تعالى ، وأنه يعلّم أمته الكتاب ، والحكمة ، وهي السنة .

النوع الثالث : ما يدل على وجوب طاعته ﷺ طاعة مطلقة والتحذير من مخالفته .

النوع الرابع : ما يدل على وجوب اتباعه ﷺ في جميع ما يصدر عنه ، والتأسي به في ذلك وعلى أن اتباعه لازم لمحبة الله .

النوع الخامس : ما يدل على أن الله قد كلفه ﷺ باتباع ما يوحى إليه متلواً أو غير متلو ، وبتبليغ جميع ما أنزل عليه ، ونهاه عن التقصير أو التغيير .

٤ — السنة المطهرة ، ووجه الاستدلال بها من ثلاثة أنواع :

النوع الأول : إخباره ﷺ — وهو المعصوم من الكذب — بأنه قد أوحي إليه القرآن **وغيره** ، وأن ما شرعه من الأحكام من الله وليس من عنده .

النوع الثاني : أمره ﷺ بالتمسك بسنته ونهيه عن الاقتصار على القرآن .

النوع الثالث : أمره ﷺ باستماع حديثه وحفظه وتبليغه إلى من لم يسمعه .

٥ — تعذّر العمل بالقرآن وحده ، فإن الحاجة ضرورية لمعرفة السنة حتى يمكن العمل بالكتاب .

٦ — السنة نوعان : وحي ، وما هو بمنزلة الوحي . فالأول حجة قطعاً ، وهذا بيّن ، وقد أورد المؤلف أدلة ذلك وأقوال العلماء فيه .

أما النوع الثاني : فهو وإن لم يكن وحياً فإن الله قد أقرّه عليه فيصبح بمنزلة الوحي ، وذلك أيضاً حجة ، وهذا أمر ظاهر . أما إذا لم يقرّه الله عليه فظاهر أنه ليس من السنة ، وأنه لا يحتج به ، وإنما الاحتجاج يكون بعدم التقرير عليه وبالتنبيه الذي جاء عقبه .

٧ — الإجماع : إن التتبع والاستقراء لآثار السلف وأخبار الخلف من المسلمين يفيد إجماعهم على حجيّة السنة ، لم يخالف في ذلك من في قلبه ذرة من إيمان ، إنما الخلاف كان يقع : في مدى ثبوت الحديث عن الرسول ﷺ أو في دلالته على هذا الحكم بعينه أم لا يدل .

ثم أطال في إيراد ما أثر عن السلف مما يدل على الإجماع .

وقد أطنب المؤلف رحمه الله في الحديث على هذه الأدلة مورداً أقوال العلماء من سلف هذه الأمة في كل منها ، فشفى وكفى ، ولم يترك لمخالف مقالاً .

ثم انتقل إلى **الباب الثالث** ، وقد خصصه لبيان شبه منكري حجيّة السنة والرّد عليها .

وقد مهّد المؤلف رحمه الله تعالى لهذا الباب ببيان أنّ بعض المنتسبين للإسلام المتظاهرين بالمحافظة عليه يوردون شبهاً لإبطال حجيّة السنة لعلهم يستخفّون ضعاف العقول من المسلمين ، وذكر أنّ الإعراض عن تلك الأقوال الباطلة أحرى لإماتتها ، غير أن تخوفه من اغترار بعض جهلة المسلمين بها دعاه إلى الكشف عن فسادها ، ودحضها بالأدلة التي لا تدع مجالاً للشك في بطلانها .

ثم بدأ في عرض تلك الشبه — قديمها وحديثها — بكل دقة وأمانة وموضوعية ، مبرزاً وجه الطعن على حجية السنة في كل منها ، ودليل الخصم على ذلك .

وقد عقب على كل واحدة من تلك الشبه برد مطول مستدلاً بالكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوال العلماء من المحدثين والمفسرين والأصوليين والفقهاء ، متقصياً في كل ذلك ما أمكنه ، وما إن يأتي القارىء على قراءة جواب الشبهة حتى يدرك تفاهتها ، وبطلانها ، ويستغرب كيف تسوّل لبعض من يدعي العلم نفسه أن يتشبث بها ويدافع عنها على صفحات الجرائد أو في بطون الكتب أو على بعض المنابر هنا أو هناك .

وقد وردت الشبهة الأولى على أن الكتاب قد حوى كل شيء من أمور الدين بدليل قوله تعالى : ﴿ **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** ﴾ وقوله : ﴿ **ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾ ، فلا حاجة إذن إلى السنة للنص على أحكام الدين وإلا كان الكتاب مفرطاً فيه ، وهو محال .

وقد بيّن المؤلف رحمه الله تعالى بالدليل أن المراد بالكتاب في الآية الأولى هو اللوح المحفوظ ، ولو سلّمنا أن المراد به القرآن كما في الآية الثانية فإنه لا يمكن حمل الآيتين على ظاهرهما من العموم لمعارضة ذلك بما تقدم بيانه من تعذر العمل بالقرآن وحده في العبادات وغيرها ، ولما هو معلوم من عدم إحاطة القرآن بكثير من أمور الدنيا ، ومن هنا فإنه ينبغي العدول عن الظاهر إلى التأويل .

ثم أورد أقوال العلماء في تأويل الآيتين وكلها تجتمع على أن السنة مما لم يفرّط فيه الكتاب ، وأن البيان ضربان: أحدهما جليّ نص عليه الكتاب ، والآخر خفي اشتمل عليه ضمناً ، وهذا تفصيل بيان موكل إلى النبي ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ **لتبيّن للناس ما نزل إليهم** ﴾ .

وقد ذكر في هذه النقطة تفصيلات أخرى تناولها العلماء ، وهي في غاية الأهمية .

أما الشبهة الثانية فتقول : إن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة ، ولو كانت حجة لتكفل بحفظها أيضاً .

وقد رد هذه الشبهة بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف ، وبين أن الله تعالى قد حفظ السنة كما حفظ القرآن ، فإن القرآن متوقف على حفظ السنة التي فيها بيانه ، وقد هيأ الله لسنة نبيه رجالاً أفذاذاً قاموا بحفظها وتدوينها وقصروا أعمارهم على ذلك .

وأما الشبهة الثالثة فتتلخص فيما يلي : لو كانت السنة حجة لأمر النبي ﷺ بكتابتها ، وهو لم يقتصر على عدم الأمر بذلك بل تعداه إلى النهي عن كتابتها والأمر بمحو ما كتب منها ، وكذلك فعل الصحابة والتابعون .

وقد أولى المؤلف الرد على هذه الشبهة عناية خاصة لما فيها من الخلط بين الحق والباطل ، فأخذ مسائلها واحدة واحدة ورد عليها بما يفحم الخصوم .

لقد بيّن أن صيانة الحجة إنما تكون بعدالة حاملها وذلك ثابت للصحابة بتعديل الله لهم ، وجملة التابعين قد ساروا على نهجهم ، أما الكتابة فليست من لوازم الحجية ، بل إن الكتابة لا تفيد القطع دائماً ، وهي دون الحفظ قوة ، وخصوصاً من العرب ومن على شاكلتهم ممن آتاهم الله حافظة قوية ، وقد توفّر ذلك بشكل خاص في الصحابة والتابعين ، فكان حفظهم المرتبط غالباً بالفهم والإدراك ، أعظم فائدة وأجدى نفعاً من الكتابة .

ثم إن القطع بالقرآن إنما حصل بالتواتر اللّفظي وليس بالكتابة .

ثم ناقش الخصم فيما ذهب إليه من أن القطع بالثبوت من لوازم الحجّية ، وبيّن أن ذلك إنما يكون في العقائد وأصول الدين ، أما الأحكام الفرعيّة فقد اتفق المسلمون على وجوب العمل بظني الثبوت فيها .

ولا نزاع بينهم في أن التواتر مفيد للعلم ، أما خبر الواحد فهو يفيد الظن عند الجمهور ، وإذا انضمت إليه قرينة تفيد العلم حصل به ، ومع ذلك فهو موجب للعمل أيضاً .

وقد أجاد المؤلف في تفصيل هذه المسألة والرد على المخالفين .

ثم انتقل إلى بيان الحكمة في أمر النبي ﷺ بكتابة القرآن وحده ، وأن ذلك لا علاقة له بمسألة الحجية ، وبيّن أن نهيه ﷺ عن كتابة السنة لا يدل على عدم حجيتها بل لحكمة رآها ، وقد بيّنها العلماء ، ثم إنه قد ثبت أن النبي ﷺ قد أذن بكتابة السنة ، وقد كان لبعض الصحابة صحائف دونوا فيها الحديث ، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص .

ثم تطرّق رحمه الله إلى الجمع بين أحاديث الإذن وأحاديث النهي ، وأورد أقوال العلماء في ذلك في ستة أوجه ، منها أن النهي كان في البداية خشية اختلاط القرآن بالسنة ، وخوف اتكال الصحابة على الكتابة وترك الحفظ ، فلما أمن ذلك نُسخ النهي وتقرّر الإذن بالكتابة . ثم أجمعت الأمة بعد عصر الصحابة والتابعين على الإذن بالكتابة والحاجة إليها .

ثم بيّن أن الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لم يكونوا جميعاً ممتنعين عن الكتابة ، بل إن الأمر بكتابتها والقيام بذلك فعلاً والاحتفاظ به قد وقع من كثير من الصحابة منهم : أبو بكر ، وعمر ، وابن عباس ، وغيرهم كثير ، رضي الله عنهم جميعاً .

أما من امتنع منهم عن الكتابة فإنما كان لعدم الاطلاع على الإذن النبوي بذلك ، أو خشية الالتباس أو الاتكال أو غير ذلك من الأسباب التي بيّنها المؤلف .

وقد تشبّث المغرضون بامتناع بعض الصحابة عن التحديث للاستدلال به على عدم تقرّر حجية السنة عندهم ، فتصدى المؤلف لذلك بالبيان الشافي ، وأوضح بالأدلة بطلان توهّم امتناع الصحابة عن التحديث في جميع الأحوال ، وبطلان توهم أنّ امتناع بعضهم في بعض الأحوال القليلة كان ناشئاً من عدم حجيتها ، وأوضح تواتر حرص جميع الصحابة على التمسك بالسنة وعلى تبليغها والتحديث بها واحتجاجهم بها على الغير ، واقتناعهم بها حجة للغير إذا احتج بها ،

ورجوعهم إليها وتحكيمها فيما يعرض لهم من الحوادث .

غير أن هناك بعض الأسباب التي حملت بعض الصحابة على الامتناع عن التحديث في ظروف خاصة ، وهي كلها لا علاقة لها بالحجية ، والتي منها :

ــ النبي عن الإكثار من التحديث لا عن التحديث بالكلية خشية وقوع المكثر في الخطأ وهو لا يشعر .

ــ الامتناع عن تحديث حديثي العهد بالإسلام خشية اشتغالهم بالحديث عن القرآن .

ــ خوف اشتغال سامع الكثير بالحفظ عن التدبر والتفقه .

ــ الامتناع عن تحديث العامّة بالمتشابه حتى لا يحمل على خلاف المراد ، أو خشية الاتكال على ما في بعضها من الوعد فيتركون العمل لأجل ذلك .

ثم انتقل إلى بيان الشبهة الرابعة ، وهي تنبني على التشبث ببعض الأخبار الواردة عن النبي ﷺ على أنها تدل على عدم حجية السنة ، منها : أحاديث عرض السنة على الكتاب فإن وافقته وإلا ردّت .

كما بيّن المؤلف أن تلك الأحاديث كلها ضعيفة لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ بطريق حسن أو صحيح .

وعلى فرض صحتها فلا يتصور مسلم عاقل أن معناها جواز صدور شيء مخالف للقرآن عن النبي ﷺ إنما المعنى أن ما يخالف القرآن ليس ثابتاً عن النبي ﷺ حتماً .

وقد تتبع المؤلف كل ما استندوا إليه وأبطله بالحجة والبرهان ، بتوسع لم يُر لغيره من المصنفين في هذا المجال .

وبعد أن أتى على هذه الشبهة واستوفى الردود عليها انتقل إلى **خاتمة الكتاب** ، وقد سلك فيها مسلك حذّاق المصنفين حيث لم يجعلها تلخيصاً لمحتوى الكتاب كما تعودنا أن نراه في الكتب المنتشرة ، وإنما بحث فيه ثلاث قضايا كبرى لها مساس مباشر بمسألة حجية السنة فكانت مسك الختام لما سبقها من المباحث ، وبها تمكن المؤلف رحمه الله تعالى من استيفاء كل ما يخطر بالبال مما له تعلّق بحجية السنة .

وقد تعلق المبحث الأول من هذه الخاتمة ببيان مرتبة السنة من الكتاب ، حيث بين بالأدلة أن السنة مع الكتاب في مرتبة واحدة من حيث الاعتبار والاحتجاج على الأحكام الشرعية وإيجاب كل منها للعمل ، ورد على من خالف في ذلك وأبطل شبههم .

وفي المبحث الثاني تناول أنواع السنة من حيث دلالتها على ما في الكتاب وعلى غيره ، وهي ــ كما هو رأي الجمهور ــ ثلاثة أنواع :

* سنة دالة على الحكم كما دل عليه الكتاب من جميع الوجوه .
* سنة مبيّنة لما في الكتاب كأن تفصّل مجمله أو توضّح مشكله أو تقيد مطلقه أو تخصص عامَّهُ .
* سنة دالة على حكم سكت عنه القرآن ولم ينص عليه ولا على ما يخالفه .

وقد اعترض المؤلف في آخر هذا المبحث على ما ذهب إليه صاحب الفكر السامي من وجود نوع رابع ، هو : السنة الدالة على ما يخالف الكتاب . لأن وجود هذا النوع يؤدي إلى القول بإمكان مخالفة السنة للكتاب . وهذا منتف كما تقدم بيانه . وإن كل زيادة صحيحة في السنة على الكتاب لا تخرج عن كونها ناسخة أو مخصصة ، وكل منهما لا تخرج عن كونها بياناً للكتاب أو مستقلة أفادت حكماً سكت عنه ، ولا يصح أن يقال : إنها أفادت حكماً مخالفاً لما فيه .

أما المبحث الثالث فقد قرّر فيه ما يغيب عن الكثيرين من أن السنة قد تستقلّ بالتشريع ، أي أنها تكون حجّة موجبة للعمل بما لم ينص عليه الكتاب ولا على ما يخالفه .

وبين صدور ذلك فعلاً عن النبي ﷺ وأنه جائز شرعاً وعقلاً ، كما أنه حجة شرعية موجبة للعمل ، وناقش المخالفين في ذلك ورد عليهم ، ودحض شبههم .

ثم أورد مآخذ المخالفين في بيان أن كل ما ورد في السنة مبين للكتاب ، وردَّ عليها ، ونبَّه على ما كان من الخلاف لفظياً وما كان حقيقياً .

ثم زيّن الخاتمة بكلمتين للإمام الشافعي في هذه المسألة : مسألة استقلال السنة بالتشريع ، فكانتا خير الختام لحسم هذا الأمر وقطع ألسنة الخصوم واستئصال جذور الشغب والنزاع في ذلك .

وقد ذُيِّل الكتاب بجملة من **الفهارس الفنية** النافعة التي تساعد على الانتفاع به والإفادة منه ، وهي : فهرس الآيات ، فهرس الأحاديث ، فهرس الأعلام ، فهرس الفرق .

أما فهرس المحتويات التفصيلي فقد وضع في أوّل الكتاب .

وبعد ، فإنّه مما يسعد المعهد العالمي للفكر الإسلامي أن ينشر هذا الكتاب القيم ، ويقدمه إلى العلماء والمفكرين المسلمين للإفادة منه في هذه القضية الأصولية الخطيرة ، مؤملاً أن يكون قد بلغ في أمر حجية السنة موضع الثقة والحسم ، بتقرير أنها كالقرآن تماماً من حيث الاعتبار والاحتجاج ، فيكون بذلك قد وفّر على الباحثين كثيراً من الجهد والوقت ، وراجياً أن تنصرف مجهوداتهم العلميّة إلى قضايا كثيرة تنتظر الحسم وتتخذ من تقرير حجية السنة إحدى منطلقاتها الكبرى ، والتي منها :

ــ ما هي المنهجية الصحيحة للتعامل مع السنة ؟

— كيف نفهم السنة فهماً صحيحاً في ضوء معطيات العصر ؟

— ما السبيل إلى إحكام تنزيل السنة على وقائع الحياة المختلفة ، واتخاذها أساساً للعلم والمعرفة والفكر ؟

— كيف يمكن تطبيق السنة في مختلف مؤسساتنا انطلاقاً من البيت المسلم إلى الحكومة المسلمة ؟

كل ذلك بمنهجية واضحة ، وفهم شمولي متكامل ، وفقه واع ، وعقلية نيرة نظيفة ، متطهرة من كل الرواسب الغريبة عن الإسلام .

وبالله التوفيق .

الهوامش

(١) ومنهم محمد محمد أبو شهبة ، في كتابيه : «دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين» و «الوضع في الحديث وردّ شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين» وعبد الرحمن الزرعي في كتابه «أبو هريرة وأقلام الحاقدين» . ومصطفى السباعي في كتابه : «السنة ومكانتها في التشريع» .



لوحة خطية لمنير الشعراني (الأفق ع ٢٥٤)

علم المعلومات بين النظرية والتطبيق

لبراين وألينا فيكري

حشمت قاسم

[illegible]

Vickery, Brian and Alina Vickery. Information Science in Theory and Practice. London, Buttorworth, 1987. x, 348p. ISBN 0-408-10684-0

تمهيد :

نادرة هي تلك الكتب التي تحاول تقديم علم المعلومات في تسلسل مترابط وعرض متكامل . ومع كثرة الأعمال التي تتناول الجوانب التطبيقية والتقنية لنظم استرجاع المعلومات ، نلحظ قلة واضحة في الجهود الرامية للتعرف على الأسس النظرية لعلم المعلومات ، ويمكن القول باطمئنان إن عدد الكتب التمهيدية الشاملة الصادرة بالإنجليزية ، في تنظيم المعلومات ، لا يتجاوز حتى الآن أصابع اليدين . أما الجهود النظرية فإنها فضلاً عن قلتها تتركز في أعمال المؤتمرات ومقالات الدوريات . ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يتناول الجوانب النظرية والتطبيقية لعلم المعلومات في إطار تصور متكامل لمكونات المجال وعناصره . وربما نطمئن إلى نضج هذا التصور إذا علمنا أن هذا الكتاب يمثل المرحلة الثالثة لتطور فكر مؤلفه الأول براين كامبل فيكري ؛ ففي نهاية الخمسينيات صدر لفيكري كتاب حول نظرية الاسترجاع بعنوان On retrievel System Theory وصدرت الطبعة الثانية من ذلك الكتاب عام ١٩٦٥ على وجه التحديد . ثم تطورت أفكار فيكري ومفاهيمه النظرية في كتابه «نظم المعلومات Information System» الذي صدر في مطلع السبعينيات حيث أسقط الاسترجاع ليتسع الكتاب لمعالجة الجوانب الاجتماعية لتنظيم المعلومات . ويأتي الكتاب موضوع اهتمامنا في هذه السطور ليمثل الحلقة الثالثة في هذه السلسلة من التطورات المنهجية والنظرية .

ولفيكري فضلاً عن هذه الكتب النظرية الأساسية الثلاثة ، ثلاثة كتب أخرى في الجوانب التطبيقية ، يهتم أقدمها بالتصنيف التحليلي التركيبي ، وصدر عام ١٩٦٠ بعنوان Faceted classification فيما يهتم الثاني بالتصنيف والتكشيف في العلوم الطبيعية Classification and indexing in science ، وقد صدرت طبعته الثالثة عام ١٩٧٥ . أما الكتاب الثالث فهو شامل لإجراءات وأساليب استرجاع المعلومات Information retrieval Techniques وقد صدر عام ١٩٧٠ . هذا بالإضافة إلى العديد من البحوث والدراسات الأخرى التي بدأت تنشر منذ أكثر من أربعين عاماً ، تعامل خلالها فيكري مع المجال بكل أبعاده النظرية والتطبيقية ، وفي مختلف المواقع المهنية التنفيذية والاستشارية والأكاديمية داخل بريطانيا وخارجها . ولا زال يواصل عطاءه أستاذاً متفرغاً بمدرسة المكتبات والأرشيف ودراسات المعلومات بالكلية الجامعية بجامعة لندن .

وتشارك فيكري مسئولية كتابنا هذا قرينته ألينا فيكري التي تخرجت مثله في مجال الكيمياء ، وعملت في عدد من مرافق المعلومات المتخصصة في الكيمياء الصناعية في بريطانيا ، ولها خبرتها الطويلة في تقديم خدمات المعلومات ، بالإضافة إلى خبراتها في البحث والتطوير والتدريس والتدريب في علم المعلومات ، وتعمل حالياً بخدمة المعلومات المركزية بجامعة لندن ، وقد شاركت في كتابة عدد من التقارير حول تنظيم وتقويم خدمات المعلومات في هذه الجامعة .

وصف الكتاب :

صدر الكتاب عام ١٩٨٧ عن أكبر الناشرين البريطانيين اهتماماً بمجال تنظيم المعلومات ، في ٣٨٤ صفحة تضم المتن وقائمة المراجع والملاحق والكشاف الهجائي ، بالإضافة إلى عشر صفحات تشتمل على التمهيد وقائمة المحتويات وبعض الملاحظات الاستهلالية . وينقسم الكتاب إلى عشرة فصول بالإضافة إلى خمسة ملاحق .

ويتتبع الفصل الأول «علم المعلومات : نشأته ومجاله» في اثنتي

عشرة صفحة ، نشأة علم المعلومات وحدوده الراهنة . وينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام فضلاً عن التمهيد . ويبدأ التمهيد بتعريف علم المعلومات الذي يتبناه هذا الكتاب ، حيث يعرف علم المعلومات «بأنه دراسة تداول المعلومات في المجتمع» ويرى المؤلفان أن هذا المعنى يخطو خطواته الأولى من تحت إهاب خلفياته العلمية المتمثلة في الأنشطة الاجتماعية الخاصة بتيسير تداول المعلومات ، ويؤكدان هنا الترابط الوثيق بين تطور العمران البشري وتطور أساليب تداول المعلومات . ويصاحب هذا التمهيد خريطة زمنية تبدأ من الألف الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام حتى يومنا هذا ، تسجل أبرز التطورات في أساليب تداول المعلومات من تسجيل وتنظيم واختزان . وتركز هذه الخريطة بدءاً من عام ١٥٠٠ على ما حدث من تطورات في بريطانيا . ويحلل القسم الأول في هذا الفصل العوامل التي تؤدي إلى نشأة الحاجة إلى المعلومات ، وهي عوامل ترتبط بالإنسان وتفاعله مع مجتمعه . أما القسم الثاني فيتتبع نشأة دراسة تداول المعلومات ، ويرجع جذور هذه الدراسة إلى عشرينيات القرن الحالي . ويعرف المؤلفان بجهود بلس H.E.Bliss في دراسة تنظيم المعلومات التي نشرت عام ١٩٢٩ ، وبدايات ما يعرف الآن بالقياسات الوراقية أو الببليومتريقا Bibliometrics المتمثلة في جهود كل من هالم E.W. Hulme وبرادفورد S. Bradford ولانكستر جونز Lancaster Jones ، ثم بدء استخدام مناهج البحث الاجتماعي في دراسة الإفادة من الكتب والمكتبات ، ثم جهود عالم الرياضيات الهندي رانجاناثان Ranganathan التي تبلورت في مبادئه الخمسة لعلم المكتبات ، وتشغل مناقشة هذه المبادئ بقية هذا القسم . ولكي تكون المفاهيم واضحة من البداية يبين القسم الثالث طبيعة العلاقة بين نظام المعلومات وعلم المعلومات ، ثم يستعرض تطور الاهتمام بعلم المعلومات منذ منتصف القرن الحالي حتى يومنا هذا ، ويحدد دور نظام المعلومات في الإطار العام للمجال ، الذي يهدف في نظر المؤلفين إلى تنمية إدراكنا لما يلي :

١ . سلوك الإنسان كمنتج للمعلومات ومصدر للمعلومات ومتلق للمعلومات ومستفيد من المعلومات ، وكمتعامل مع قنوات الاتصال .

٢ . الدراسة الكمية لرصيد الرسائل ، حجمه ومعدل نموه ، وتوزيعه ، وأنماط إنتاجه والإفادة منه .

٣ . التنظيم الدلالي للرسائل والقنوات التي تيسر التعرف عليها من جانب المصدر والمتلقي .

٤ . المشكلات المرتبطة بوظائف اختزان المعلومات وتحليلها واسترجاعها .

٥ . التنظيم الشامل لنظم المعلومات ومستويات أدائها في تداول المعلومات .

٦ . السياق الاجتماعي لتداول المعلومات ، واقتصاديات هذا النشاط وسياساته على وجه الخصوص .

ويأتي هذا الفصل بمثابة تمهيد عام للكتاب ، حيث ينتهي بالإشارة إلى موضوعات بقية الفصول .

ويتناول الفصل الثاني «المدخل الاجتماعي للمعلومات» تداول المعلومات بكل جوانبه باعتباره نظاماً اجتماعياً ، وينقسم إلى ثمانية أقسام بالإضافة إلى التمهيد الذي يبين أسس اعتبار تداول المعلومات نشاطاً اجتماعياً في المقام الأول . ويعرض القسم الأول لبعض جوانب المجتمع الصناعي من وجهة نظر الاتصال وتداول المعلومات ، بينما يتناول القسم الثاني مكان الاتصال ودوره في المجتمع . أما القسم الثالث فيتناول أنماط الحاجة إلى المعلومات ، بينما يتناول القسم الرابع تعامل الإنسان مع عناصر نظام المعلومات تحت عنوان «بيئة المعلومات» . ويتناول القسم الخامس متلقي المعلومات والعوامل المؤثرة فيه ، بينما يتناول القسم السادس مصادر المعلومات والعوامل المؤثرة فيها . ويعرض القسم السابع لقنوات الاتصال من حيث أنواعها ووظائفها . أما القسم الثاني الأخير فيعرض لمكونات نظام المعلومات جملة ، وذلك في إطاره الاجتماعي . والهدف من هذا الفصل كما هو واضح هو تداول المعلومات في السياق الاجتماعي العام .

وللمعلومات فضلاً عن الجانب الاجتماعي جوانبها الطبيعية والتكنولوجية ، ويحاول الفصل الثالث «السياق الرحب لتداول المعلومات» استجلاء أبعاد الجوانب الأخرى . فالبشر يتصلون ببعضهم البعض بشكل مباشر ، كما يمكن أن يتم الاتصال بينهم عن طريق «الوثائق» التي يقصد بها هنا كل حامل مادي للرسائل الرمزية المسجلة بأي لغة أو أي شفرة متفق عليها ، كما يمكن أيضاً الاتصال بواسطة الآلات أو الوسائل الاصطناعية القادرة على التفاعل مع البشر أو الوثائق أو الآلات الأخرى أو الطبيعة نفسها . ويقصد بالطبيعة هنا أي عنصر في البيئة البشرية فيما عدا الوثائق والآلات وغيرها من الوسائل الاصطناعية . وتكشف دراسة التفاعل بين هذه العناصر كيف يمكن تطبيق فكرة تداول المعلومات على أوسع نطاق . وينقسم هذا الفصل إلى خمسة أقسام ، يتناول أولها تداول المعلومات في الطبيعة وخاصة بين الحيوانات والنظم البيولوجية للإنسان والحيوان على السواء ، بينما يتناول القسم الثاني التفاعل بين الآلات ، في حين يتناول الثالث ما بين الوثائق من علاقات . أما

القسم الرابع فيتناول تجهيز البيانات بواسطة البشر . ويشتمل القسم الخامس الأخير على خلاصة ما ورد في الفصل من مفاهيم وأفكار خاصة بتداول المعلومات ، وينتهي إلى أننا إذا اتفقنا على أن الاتصال سمة غالبة في جميع الأنشطة الاجتماعية ، فإنه يمكن القول بأن تداول المعلومات يعتبر سمة غالبة في الطبيعة ، وأن المادة والطاقة والمعلومات هي في الواقع العناصر الأساسية الثلاثة لعالمنا .

ويدل ترتيب فصول الكتاب على تدرج المعالجة من العام إلى الخاص وإفضاء كل فصل إلى ما يليه في استطراد طبيعي . فقد عرض القسم الرابع من الفصل الثالث لتجهيز البشر للمعلومات بشكل عام ، ويتناول الفصل الرابع «البشر والمعلومات» هذا الموضوع بالتفصيل . ويبدأ هذا الفصل بتمهيد يستعرض العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي ، وينقسم إلى ثمانية وعشرين قسماً ، ويشغل اثنتين وسبعين صفحة ، أي حوالي ٢١٪ من مجموع صفحات متن الكتاب . ويتناول القسم الأول انتقائية الاهتمام والتركيز ؛ فالإنسان محاط بأنواع لا حصر لها من الرسائل الإعلامية ، وهناك عدد من العوامل الداخلية والخارجية التي تحدد أي هذه الرسائل يمكن أن يحظى باهتمامه ، وكذلك أي معلومات يستخلصها من الرسالة . ويتناول القسم الثاني الخصائص اللغوية للرسائل ، ويركز هنا على الحواجز اللغوية ، لا تلك الحواجز التي تفصل بين نظام لغة طبيعية وأخرى فحسب ، وإنما أيضاً الحواجز اللغوية الناتجة عن التخصص العلمي أو المهني في داخل النظام اللغوي الواحد . أما القسم الثالث فيتناول وسائط الاتصال ، ويقسمها إلى فئتين ؛ وسائط اللغة الطبيعية ووسائط الصورة . ويفرع كل فئة إلى نمطين ؛ فوسائط اللغة الطبيعية تنقسم إلى شفوية ونصّية ، أما وسائط الصورة فتنقسم إلى ثابتة ومتحركة . ويتناول القسم الرابع ربط المنبع بالمتلقي ، في حين يتناول الخامس الاتصال في إطار الجماعات والمنظمات ؛ فعادة ما تؤدي الاهتمامات العلمية والشخصية إلى انقسام المجتمع إلى العديد من الجماعات والجمعيات والاتحادات والمنظمات والمجتمعات الفرعية التي تشهد قدراً كبيراً من تداول المعلومات . ويتناول القسم السادس انتشار المعلومات في المجتمعات العامة والخاصة ، وذلك من خلال نوعين من القنوات ، وهما القنوات الشفاهية والقنوات الرسمية . أما القسم السابع فيتناول دراسة البشر والمعلومات باعتبارها أساس أي جهد يرمي لتطور وسائل الاتصال . ويأتي القسم الثامن استطراداً طبيعياً لموضوع القسم السابع ، حيث يتناول بشيء من التفصيل المتغيرات والفئات والبيانات لموضوع القسم السابع ، حيث يتناول بشيء من التفصيل المتغيرات والفئات والبيانات التي تعتمد عليها دراسة البشر والمعلومات . واستمراراً في الموضوع نفسه يتناول القسم التاسع تحليل المتغيرات ، في حين يتناول القسم العاشر استخلاص الأسس والمؤشرات باعتباره الحصيلة النهائية لدراسة تداول البشر للمعلومات . يبدأ الربط بين المتغيرات في القسم الحادي عشر الذي يربط بين الاتجاهات المهنية وقنوات الاتصال ، في حين يعرض القسم الثاني عشر للاعتماد على السجلات المتاحة للحصول على البيانات الخاصة بواقعات الاتصال ، ويقدم خمسة أمثلة لاستخدام هذه الوسيلة . ويواصل القسم الثالث عشر عرض بعض الجوانب المنهجية لدراسة الاتصال ، حيث يتناول المجتمعات موضوع الدراسة وأخذ العينات وتحديد الوحدات . هذا في حين يتناول القسم الرابع عشر طرق الحصول على البيانات من البشر أنفسهم . ويمهد القسم الخامس عشر لما يليه من أقسام تعرض بعض الدراسات الخاصة بتداول فئات مختلفة من البشر للمعلومات . ويعرض القسم السادس عشر بعض دراسات الاتصال في مجال العلوم ، بينا يعرض القسم السابع عشر بعض الدراسات في علم النفس ، في حين يعرض القسم الثامن عشر النشر في الدوريات المتخصصة باعتباره أحد منافذ الاتصال وتداول المعلومات. ويتناول القسم التاسع عشر الأوعية الثانوية لبث المعلومات كنشرات المستخلصات والمراجعات العلمية . ويبدأ القسم العشرون النظر في الاتصال من جانب المتلقي ، ويعتبر تمهيداً لما يليه من أقسام ، حيث تناول القسم الحادي والعشرون احتياجات الممارسين من المعلومات ، في حين يتناول القسم الثاني والعشرون خصائص الممارسين من وجهة نظر تداول المعلومات ، بينا يتناول القسم الثالث والعشرون مصادر معلومات الممارسات الجديدة . ويحاول القسم الرابع والعشرون إبراز أهمية الاتصال غير الرسمي ، في حين يناقش القسم الخامس والعشرون العلاقة بين المصادر الرسمية والمصادر غير الرسمية . ويتناول القسم السادس والعشرون تدفق المعلومات من أحد القطاعات وهو قطاع صناعة البناء ، بينا يناقش القسم السابع والعشرون احتياجات «كل إنسان» من المعلومات . أما القسم الثامن والعشرون الأخير فيسجل أثر نتائج دراسات الاتصال وتداول المعلومات على أداء المسئولين عن تقديم خدمات المعلومات ، أي الثمرة العملية لمثل هذه الدراسات الأساسية .

واسترجاع المعلومات أحد قطاعات نظام المعلومات ، ويقصد به التقاط المعلومات من أحد المستودعات . ويقدم الفصل الخامس «استرجاع المعلومات» عرضاً للممارسات السائدة في هذا القطاع ، ليكون أساساً للفصلين التاليين اللذين يركزان على فئتين من المشكلات الخاصة بنظم استرجاع المعلومات . ويقع هذا الفصل في سبع عشرة صفحة ، أي حوالي ٤,٩٪ من مجموع صفحات

المتن ، وينقسم إلى تسعة أقسام ، يتناول أولها المواد التي يتم اختزانها واسترجاعها ، ويسرد أنواع التسجيلات التي يتناولها نظام الاسترجاع وخطوات الاسترجاع . ويتناول القسم الثاني أدوات الاسترجاع وإجراءاته ومؤسساته ، في حين يعرض القسم الثالث لمشكلات التصميم في نظام الاسترجاع . ويناقش القسم الرابع قضية تحليل المعلومات ، في حين يتناول القسم الخامس أشكال التسجيلات والملفات . ويتناول القسم السادس صياغة الأسئلة وإجراءات البحث في الملفات ، في حين يتناول القسم السابع تقويم ناتج الاسترجاع ، ويتناول القسم الثامن ما يمكن أن يترتب على هذا التقويم من تعديل صيغة السؤال أو استراتيجية البحث عن المعلومات . أما القسم التاسع الأخير فيتناول مستودع الوثائق أو المعلومات الأولية .

والدلالة باعتبارها إحدى مشكلات استرجاع المعلومات هي موضوع الفصل السادس «الدلالة والاسترجاع» . ويشغل هذا الفصل ٤٧ صفحة أي حوالي ١٣,٧٪ من مجموع صفحات المتن ، وينقسم إلى ستة عشر قسماً بالإضافة إلى التمهيد الذي يحدد طبيعة المشكلة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغويات ، ويبين عناصرها المرتبطة بسلسلة خطوات تداول المعلومات في سياق نظام الاسترجاع . ويتناول القسم الأول عمليات نقل المعاني باعتبارها أساس عملية تداول المعلومات ، ويتناول القسم الثاني المشكلات الدلالية للاسترجاع الموضوعي الخاصة بتحديد المداخل الموضوعية للوثائق والتحليل الموضوعي لأسئلة المستفيدين ، والمضاهاة بين ناتج التحليل الموضوعي للوثائق وناتج التحليل الموضوعي للأسئلة في الاسترجاع . ويتناول القسم الثالث اتجاهات البحث في استرجاع المعلومات ، حيث يبرز أربعة اتجاهات في تسلسلها التاريخي ، وهي البحث في خطط التصنيف ، والبحث في التكشيف الهجائي ، والبحث في خطط التصنيف ونظم التكشيف باعتبارها لغات متخصصة . أما الاتجاه الرابع الأخير فيهتم بالبنية المعرفية للمستفيد من نظام الاسترجاع باعتبارها أحد العوامل المؤثرة في التعبير عن الحاجة إلى المعلومات . هذا ويتناول القسم الرابع بنى المعرفة العامة أي المعرفة المتاحة للجميع ، وتشمل الموقع النسبي في الفراغ كما هو الحال في الخرائط والرسومات والمخططات واللوحات ... والتسلسل الهرمي ، وعلاقة التفرع العرقي Generic relation . ويتناول القسم الخامس المعرفة الشخصية من وجهة نظر علم النفس المعرفي . في حين يتناول القسم السادس دراسات الذاكرة ، بينما يناقش القسم السابع علاقة اللغة بالمنطق ، ويقدم القسم الثامن نموذجاً عاماً للمعرفة الشخصية اعتماداً على جهود المتخصصين في علم النفس المعرفي . أما القسم التاسع فيتناول التعبير عن المعلومات في الذكاء الاصطناعي ، في حين يتناول القسم العاشر الرغبة في الحصول على المعلومات وكيفية التعبير عنها . ويناقش القسم الحادي عشر مشكلات تحديد قطاعات المعلومات أو مجموعات الرسائل ، ويستطرد القسم الثاني عشر في هذه المناقشة ليعرض لمعايير تحديد المصطلحات الدالة على المعلومات ، بينما يسهم القسم الثالث عشر في الموضوع بعرض قضية التقنين أو التوحيد القياسي للمصطلحات . أما القسم الرابع عشر فيتناول البيئة الدلالية لنظم الاسترجاع ، في حين يتناول القسم الخامس عشر دراسات لغات التكشيف . ويسجل القسم السادس عشر الأخير خلاصة مناقشة كل هذه القضايا الدلالية الخاصة باسترجاع المعلومات من مستودعات الرسائل .

ويتناول الفصل السابع «الوسطاء وأنماط الاتصال» الجوانب المعرفية والسلوكية في تعامل المستفيدين مع نظم استرجاع المعلومات . ويشغل هذا الفصل ثلاثين صفحة تمثل حوالي ٨,٧٪ من مجموع صفحات المتن ، وينقسم إلى سبعة عشر قسماً فضلاً عن التمهيد والخلاصة . ويعرض القسم الأول لطبيعة العملية المرجعية ومقوماتها وعناصرها . ويسجل القسم الثاني ما ينبغي أن يعرفه الوسيط للنهوض بدوره في النظام . أما القسم الثالث فيبين أنواع الأسئلة المرجعية ، بينما يتناول القسم الرابع علاقة الإجابات بالأسئلة ، في حين يعرض القسم الخامس لعلاقة الأسئلة بحل المشكلات ، ويحلل القسم السادس دور الأسئلة في الحوار ، في حين يتناول القسم السابع الحوار التعاوني أو التفاعلي . ويركز القسم الثامن على فكرة كل من طرفي الحوار عن الآخر ، وضرورة وجود لغة مشتركة بين الطرفين ، وصورة مشتركة للعناصر الرئيسية للبيئة المحيطة بهما . ويتناول القسم التاسع ما يسمى بالمقابلة المرجعية ودورها في صياغة الاستفسارات . ويركز القسم العاشر على نوع بعينه وهو المقابلات المرجعية الخاصة بالبحث على الخط المباشر ، في حين يتناول القسم الحادي عشر إجراءات المقابلة ، ويتفرع إلى أربعة عناصر ، يتناول أولها محتوى المقابلة وتسلسل عناصر هذا المحتوى ، بينما يتناول العنصر الثاني الترابط في بنية المقابلة ، ويتناول العنصر الثالث إيقاع المقابلة أو سرعتها ، في حين يتناول العنصر الرابع طول المقابلة . هذا ويتناول القسم الثاني عشر خصائص التفاعل بين المستفيد من نظام الاسترجاع والوسيط . ويتناول القسم الثالث عشر التعامل مع الآلة في البحث على الخط المباشر . ويتناول القسم الرابع عشر مشكلة الإعراب Parsing أو استخلاص المعنى من النصوص . أما القسم الخامس عشر فيعرض لما يسمى بالنظم الخبيرة

Expert Systems أو النظم الفطنة . ويقدم القسم السادس عشر نموذجاً لهذه النظم وهو نظام مايسين MYCIN الذي وضع في مطلع السبعينات لمساعدة الأطباء في اختيار العقاقير اللازمة لعلاج المصابين بأمراض معدية . ويعرف القسم السابع عشر بنظام فطن يتم وضعه الآن بجامعة لندن لأغراض استرجاع الوثائق .

والفصل الثامن «نظم المعلومات» هو ثاني فصول الكتاب طولاً، حيث يشغل إحدى وخمسين صفحة ، أي حوالي ١٤,٩٪ من مجموع صفحات المتن ، ويتكون من سبعة عشر قسماً ، ويبدأ بتحديد المقصود بنظام المعلومات ، ودور عالم المعلومات . ويتناول القسم الأول أسس ومعايير تنصيف نظم المعلومات ، بينما يتناول القسم الثاني أنماط ترابط النظم ببعضها البعض ، في حين يتناول الثالث تأثير التكنولوجيا الألكترونية . أما القسم الرابع فيتناول الملامح العامة للنظم ، ويعرض القسم الخامس لمراحل تطور النظم بوجه عام ، حيث تعالج الأقسام التالية هذه المراحل بشيء من التفصيل ؛ فالقسم السادس يتناول مرحلة جمع البيانات حول بيئة النظام ، بينما يتناول القسم السابع قياس الإفادة من النظام ، ويتناول القسم الثامن مصادر الرسائل ومن يتلقون هذه الرسائل . ويتفرع إلى سبعة أفرع، يتناول أولها حجم الرسائل الناتجة ، بينما يتناول الثاني اختلاف معدلات الإنتاج ، في حين يعالج الثالث أنماط البحث من المصادر ، ويعرض الرابع لنمط توزيع الرسائل المصدرية في المطبوعات . أما الفرع الخامس فيتناول العدد المتوقع للمستفيدين ومدى الطلب على خدمة المعلومات . ويتناول الفرع السادس توزيع الطلبات بين المستفيدين . ويتناول الفرع السابع معدلات تحول المستفيدين المحتملين إلى مستفيدين فعليين . هذا ويتناول القسم التاسع من هذا الفصل الإفادة من مستودعات الرسائل وينقسم إلى ثلاثة عناصر ، يعالج أولها معدل الإفادة من كل عنصر مختزن ، ويتناول الثاني توزيع حجم الإفادة على المواد ، بينما يتناول الثالث تأثير الإفادة بعامل الزمن أو عمر المواد . ويتناول القسم العاشر أنماط التعامل مع مستودعات المعلومات التي تتراوح ما بين الزيارة الشخصية للمكتبة وإيصال المعلومات إلى المستفيد في مكتبه أو منزله عن طريق الساعي أو البريد أو وسائل الاتصال عن بعد . أما القسم الحادي عشر فيتناول توزيعات الاحتمالات والنمذجة Modelling الرياضية . هذا ويتناول القسم الثاني عشر نظرية طوابير الانتظار كأحد أساليب بحوث العمليات وتطبيقاتها في مجال تنظيم المعلومات ، بينما يتناول القسم الثالث عشر تصادم الطلبات أي الرغبة في استدعاء المادة المختزنة نفسها من جانب أكثر من مستفيد واحد في الوقت نفسه . ويتناول كل من القسم الرابع عشر والخامس عشر قضايا التخزين ، حيث يتناول القسم الرابع عشر مشكلات الاستبقاء والاستبعاد ، في حين يتناول الخامس عشر التخزين الموزع على أكثر من موقع . ويتناول القسم السادس عشر تدرج مستويات الإتاحة أو قرب المواد وبعدها عن المستفيد . أما القسم السابع عشر الأخير في هذا الفصل فيسجل بعض الأسس العامة لنظم المعلومات المستخلصة من الخصائص الكمية والنوعية ، التي أقرتها جهود البحث في علم المعلومات التي يمكن الاستئناس بها في تصميم نظم المعلومات وإدارتها .

ويشغل الفصل التاسع «تقويم النظم» تسعاً وثلاثين صفحة ، ويشكل حوالي ١١,٤٪ من مجموع صفحات المتن ، وينقسم إلى تسعة عشر قسماً بالإضافة إلى التمهيد والخلاصة ، ويركز على التقويم من وجهة نظر المعلومات التي تقوم بدور القنوات ، على أساس مدى فاعليتها في تلبية احتياجات المستفيدين ورغباتهم وطلباتهم بالإضافة إلى الاعتبارات الاقتصادية . ويعرض القسم الأول لمعايير التقويم ، بينما يتناول الثاني إطار التقويم ، في حين يتناول القسم الثالث الصلاحية وسبل تقديرها . أما القسم الرابع فيتناول نوعيات الخدمات ، في حين يتناول الخامس تقويم الأداء . ويتناول القسم السادس كفاءة النظام وفاعلية التكلفة ، في حين يتناول القسم السابع قياس مدى اكتمال التغطية ، بينما يتناول القسم الثامن كفاءة الاسترجاع . ويقدم القسم التاسع نموذجاً لتقويم أحد النظم وهو نظام المدلرز الخاص بتحليل واسترجاع الإنتاج الفكري الطبي . ويهتم القسم العاشر بتقويم نوعية بعينها من الخدمات وهي خدمة الإحاطة الجارية ، بينما يتناول القسم الحادي عشر تقويم البحث على الخط المباشر . ويستعرض القسم الثاني عشر الجهود التجريبية في دراسة استرجاع المعلومات . أما القسم الثالث عشر فيتناول خدمة توفير الوثائق حسب الطلب ، في حين يتناول القسم الرابع عشر العوامل المؤثرة في الإتاحة . ويعرض القسم الخامس عشر لأحد اختبارات القدرة على إتاحة الوثائق في مرافق المعلومات ، في حين يناقش القسم السادس عشر أثر التأخر في تقديم الخدمة . ويشير القسم السابع عشر إلى بعض العوامل التي تؤدي إلى انخفاض مستوى الخدمات . ويحاول القسم الثامن عشر إبراز أهمية المعلومات ، بينما يعرض القسم التاسع عشر لدور خدمات المعلومات .

ويحتل الفصل العاشر الأخير «المعلومات في المجتمع» المرتبة الثالثة من حيث الطول ، ويشغل أربعاً وأربعين صفحة ، أي حوالي ١٢,٨٪ من مجموع صفحات المتن ، وتتركز محتوياته في إبراز القضايا الجديرة بالدراسة في علم المعلومات ، وينقسم إلى عشرين

قسماً بالإضافة إلى التمهيد . يتناول الأول قنوات نقل المعلومات ، كتمهيد للأقسام الثلاثة التالية التي تتناول النشر والتوزيع ، والصحافة والإذاعة ، وخدمات الاستخلاص والتكشيف على التوالي . أما الأقسام الخمسة التالية فتتناول مرافق المعلومات ، ويأتي القسم الخامس بمثابة تمهيد ، في حين تتناول الأقسام الأربعة الأخرى المكتبات العامة ، والمكتبات التعليمية التي تشمل كلاً من المدرسية والجامعية ، والمكتبات المتخصصة ومرافق المعلومات ، وتبادل الإعارة والتعاون بين المكتبات ، بالترتيب . ويتناول القسم العاشر فرص الحصول على المعلومات وإتاحة المعلومات ، بينما يعرض القسم الحادي عشر لبعض الدروس المستفادة من البحوث التربوية في التغلب على معوقات الإفادة من موارد المعلومات . ويتناول القسم الثاني عشر تكنولوجيا المعلومات ، بينما يعرض القسم الثالث عشر للهيئات والمؤسسات التي تقوم بدور الوسيط أو المورد في تقديم خدمات المعلومات عن بعد مثل منتجي مراصد البيانات ، وشبكات الاتصالات ، وموردي الأجهزة والبرامج والوسطاء . ويتناول القسم الرابع عشر مراصد البيانات ومضيفي مراصد البيانات . أما القسم الخامس عشر فيتناول السياق العام لتوفير المعلومات ، بينما يركز القسم السادس عشر على اقتصاديات توفير المعلومات ، ويناقش القسم السابع عشر الاتجاهات الاقتصادية المرتبطة باستخدام أجهزة الاتصال عن بعد في تقديم المعلومات ، في حين يعرض القسم الثامن عشر التأثيرات المختلفة للتكنولوجيا الجديدة . ويلخص القسم العشرون الأخير بعض القضايا الأساسية التي تحتاج إلى دراسة .

وبالإضافة إلى المتن الأساسي للكتاب هناك خمسة ملاحق يشتمل أولها على معايير علم المعلومات التي وضعها معهد علماء المعلومات في بريطانيا التي تنقسم إلى ثمانية قطاعات هي المعرفة وتداولها ، ومصادر المعلومات ، ونظرية اختزان المعلومات واسترجاعها ، ونظم اختزان المعلومات واسترجاعها ، وبثّ المعلومات ، والإدارة ، والتقانة وتطبيقاتها ، والمهارات المساعدة ، هذا بالإضافة إلى عرض أمثلة للتقانة المناسبة لعلم المعلومات ، ويشغل هذا الملحق أربع صفحات . ويشتمل الملحق الثاني على بيان بمجالات الدراسة في علم المعلومات أعده براين فيكري عام ١٩٨٢ م ، ويقسم هذه المجالات إلى أربعة قطاعات ، هي دور المعلومات في المجتمع ، والحسابات الألكترونية والاتصالات ، ونظم المعلومات ، ومناهج البحث في علم المعلومات ، ويشغل هذا الملحق خمس صفحات . ويشتمل الملحق الثالث في أربع صفحات على استبيان أعدته مرجريت سليتر عام ١٩٧٢ لدراسة الإفادة من المعلومات في مجال الكيمياء لصالح الأزلب . أما الملحق الرابع فيضم العناصر الأساسية للبحث التحاوري في نظام مايسين الفطن الذي وضع لمساعدة الأطباء في علاج الأمراض المعدية ، نشر عام ١٩٨٤ ، ويشغل ثلاث صفحات . هذا في الوقت الذي يشتمل فيه الملحق الخامس الأخير على نموذج تحليلي لعملية بحث في هذا النظام .

وتشتمل قائمة مراجع الكتاب على ٥٣٠ مرجعاً ، جميعها بالانجليزية ، فيما عدا أربعة فقط بالفرنسية . وتمثل مقالات الدوريات الغالبية العظمى في هذه المراجع ، يليها الكتب ثم تقارير البحوث والرسائل الجامعية . أما عن التوزيع الزمني للمراجع فإننا نلاحظ أن العقدين الأخيرين ، السبعينيات والثمانينيات يستأثران بأكثر من ٧٥٪ . وتأثر الإفادة من الإنتاج الفكري في هذا المجال بعامل الزمن واضح بجلاءفي جدول (١) ، ويرجع أقدم مرجع مستشهد به في هذا الكتاب إلى العقد الثاني من القرن الحالي .

أما عن التوزيع الموضوعي لمراجع الكتاب (جدول ٢) فإننا نلاحظ أن هذه المراجع موزعة على أحد عشر مجالاً يتصدرها مجال المكتبات وتنظيم المعلومات . وتلقي بيانات جدول (٢) الضوء على الإسهام النسبي للموضوعات التي تشكل روافد علم المعلومات في صورته الراهنة . وتؤكد هذه البيانات الرأي القائل بنشأة العلم أساساً لتقنين الممارسات التطبيقية في مرافق المعلومات ، بالإضافة إلى تأثره بأساليب ومناهج وحقائق عدد من المجالات المحيطة . وقد بلغت نسبة الاستشهاد المرجعي الذاتي لعلم المعلومات وفقاً لهذه الإحصاءات ٦٦٫٨٪ ، في حين بلغت نسبة الاستشهاد المرجعي الذاتي للمؤلفين في هذا الكتاب ٤٫٧٪ ، حيث بلغ عدد المراجع التي ألفها أي من المؤلفين منفرداً أو مشتركاً والمستشهد بها في الكتاب ٢٥ مرجعاً .

جدول (١) التوزيع الزمني الموضوعي لمراجع الكتاب

العقد / النوع	١٩١٠	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	المجموع عدد	المجموع ٪
الكتب	–	١	–	١	١٠	٣٧	١٠٥	٤٦	٢٠٠	٧ر٣٧
المقالات	١	١	٣	٢	١١	٤٤	١١٨	٦٨	٢٤٨	٨ر٤٦
التقارير والأطروحات	–	–	–	–	–	١١	٣٠	١١	٥٢	٨ر٩
بحوث المؤتمرات	–	–	–	١	٤	–	١	٤	١٠	٩ر١
أجزاء الكتب	–	–	–	–	١	٤	١٠	٥	٢٠	٨ر٣
المجموع العدد	١	٢	٣	٤	٢٦	٩٦	٢٦٤	١٣٤	٥٣٠	٠ر١٠٠
٪	٢ر٠	٤ر٠	٦ر٠	٧ر٠	٩ر٤	١ر١٨	٨ر٤٩	٣ر٢٥	٠ر١٠٠	

جدول (٢) التوزيع الزمني الموضوعي لمراجع الكتاب

المجال / العقد	١٩١٠	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	المجموع عدد	المجموع ٪
علم المعلومات	١	٢	٣	٢	١٠	٥٣	١٨٦	٩٧	٣٥٤	٦٦٫٨
الإعلام	–	–	–	١	٤	١٠	١٦	٦	٣٧	٧٫٠
الاجتماع	–	–	–	–	٥	١٠	١٤	١	٣٠	٥٫٦
علم النفس	–	–	–	–	٣	٧	١٤	٥	٢٩	٥٫٥
الحاسب	–	–	–	–	١	٤	٩	١٢	٢٦	٤٫٩
المنطق	–	–	–	–	–	٣	٨	٥	١٦	٣٫٠
الإدارة	–	–	–	–	٣	٤	٤	٣	١٤	٢٫٦
اللغة	–	–	–	١	–	١	٩	٢	١٣	٢٫٥
التربية	–	–	–	–	–	٢	٣	١	٦	١٫١
الإحصاء	–	–	–	–	–	١	١	٢	٤	٠٫٨
التاريخ	–	–	–	–	–	١	–	–	١	٠٫٢
المجموع	١	٢	٣	٤	٢٦	٩٦	٢٦٤	١٣٤	٥٣٠	١٠٠٫٠

ملاحظات عامة :

بعد هذا العرض الشامل لمحتويات الكتاب ومكوناته هناك بعض الملاحظات العامة التي يمكن استلاخصها . ونبدأ أولاً برأي المؤلفين في كتابهما وهما في غاية الأمانة ، حيث يسجلان أن هذا الكتاب ليس بالموجز الإرشادي في تنظيم المعلومات أو في إدارة المعلومات ، على الرغم من اشتاله على النظرة المتعمقة التي يمكن أن يفيد منها العاملون في المجال . كما أنه ليس دليلاً للإجراءات الخاصة بتصميم نظم المعلومات وتطويرها ، على الرغم من أنه يمكن لما اشتمل عليه من بيانات ومبادىء أساسية أن يكون في غاية الأهمية بالنسبة لمهندس النظم . هذا بالإضافة إلى أنه لا يمكن القول بأن هذا الكتاب دليل لمناهج البحث في علم المعلومات ، حيث لم يتعرض للطرق التجريبية وأساليب التحليل الرياضية بشيء من التفصيل ، إلا أنه يمكن للإشارات المرجعية إرشاد القراء الراغبين في مثل هذه المعالجة التفصيلية . أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب لا يقدم وصفاً لتكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها في تقديم خدمات المعلومات ، إلا أن المؤلفين قد حرصا على بيان سبل تأثير التكنولوجيا الحديثة في تقديم هذه الخدمات وما يترتب على ذلك بالنسبة للإفادة من المعلومات . وأخيراً يسجل المؤلفان أن مشكلات المعلومات التي يتناولها الكتاب تقتصر على تلك الخاصة بالمجتمع الصناعي الذي اكتسبا فيه خبراتهما ، حيث استمدا معظم الأمثلة من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية . ويرى المؤلفان أن هناك الكثير من المشكلات المختلفة الأكثر صعوبة ، والأكثر أهمية ، من وجهة النظر الدولية التي تعاني منها المجتمعات الآخذة بأسباب النمو ، إلا أن قدراتهما تقصر دون التصدي لها .

ومن استعراض محتويات الكتاب وتحديد المؤلفين لإطارهما المرجعي وأهدافهما وحدودهما في هذا الكتاب بأمانة ووضوح ، يتبين لنا أن هذا الكتاب على عكس كثير غيره لا يستجدي قارئاً ، كما أنه ليس كتاباً للمبتدئين ، وإنما كتاب دراسي متقدم ؛ موجه للقادرين على التقاط خيط التساؤل المنهجي ومواصلة البحث استجلاء للحقيقة . كما يتضح أيضاً من مراجعة محتوى الكتاب وتحليل قائمة مراجعه أنه أقرب ما يكون إلى المراجعة العلمية التي ترصد واقع المعرفة في المجال ، إلا أنه يعتبر رصداً انتقائياً إن صح هذا التعبير ، حيث يركز على الجوانب المنهجية والجهود النظرية الأساسية التي تؤكد الطابع الاجتماعي لظاهرة المعلومات ، وما يستتبع ذلك من ضرورة التوسل بمناهج العلوم الاجتماعية في دراستها . ولتبني هذا الاتجاه من جانب مؤلفين ارتبطا دراسياً ومهنياً بأحد مجالات العلوم الطبيعية دلالة خاصة ، تضفي مزيداً من الثقة في صحة هذا الاتجاه .

والإيجاز عنصر أساسي في مثل هذه الأعمال ذات الاهتمامات العريضة المتشعبة . وقد استطاع المؤلفان المحافظة على الاتزان في معالجة موضوعات الكتاب ، كما أن الإيجاز في المعالجة لم يتحقق على حساب الوضوح . وقد أدرك المؤلفان جيداً حدود ما يقدم في مثل هذا العمل وما يترك للمصادر المشار إليها في توثيق النص ، مع الاكتفاء ببيان موقعه في السياق العام لمجال علم المعلومات استكمالاً لصورة المجال في هذا الكتاب .

وعلى الرغم من تشابك قضايا اهتمام هذا الكتاب فقد جاء تكرار المعالجة في أضيق الحدود . وقد أجاد المؤلفان في إحكام سيطرتهما على النص ، كما جاء الأسلوب سلساً بسيطاً مدعماً بالنماذج والأمثلة والأشكال التوضيحية التي ساعدت كثيراً في تحقيق الإيجاز والوضوح في الوقت نفسه .

ولما كانت النظرية من أهم الأدوات العملية ، فإن اهتمام هذا الكتاب بالأسس النظرية لعلم المعلومات ، على الرغم من تأثر مؤلفيه بالخبرات المكتسبة في المجتمعات المتقدمة ، يجعله صالحاً للمهتمين بقضايا المعلومات ، دراسة وممارسة على أعلى المستويات ، في المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء . ولا مبالغة في القول بأن صدور هذا الكتاب يعتبر من الملامح البارزة في مسيرة تطور علم المعلومات على المستويين الأكاديمي والمهني .

رسائل جامعية

الثروة السمكية في المياه الإقليمية للمملكة

لميعة الجاسر

الجاسر ، لميعة بنت عبد العزيز / الثروة السمكية في المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية : دراسة في الجغرافيا الاقتصادية ــ جزء من متطلبات الحصول على الماجستير ــ إشراف عبد الرحمن صادق الشريف ــ الرياض : قسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة الملك سعود ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، أ ــ ش ، ٤٥٠ ص .

يهدف البحث إلى إبراز أهمية الثروة السمكية البحرية في البحر الإقليمي بالمملكة العربية السعودية باعتبارها أحد الموارد البحرية المهمة .

وقد دعمت هذه الدراسة بعرض تحليلي يهدف إلى تحديد إنتاج واستهلاك وتسويق الثروة السمكية في المياه الإقليمية للمملكة ، وذلك في ضوء دراسة ميدانية تستهدف التعرف على مدى إقبال جمهور المستهلكين على الأسماك باعتبارها مصدراً مهماً للبروتين الحيواني ، ثم معرفة مدى إنتاجية العمال الصيادين في هذه المهنة . كما دعم البحث بمحاولة لدراسة مسحية لطاقة البحر الإقليمي الكامنة وطرق الحفاظ عليها وصيانتها وتنميتها .

وقد تحدد مجتمع البحث في هذه الدراسة على الثروات الحيوانية الحية في المياه الإقليمية للمملكة الذي تحدد بمياه الخليج العربي والبحر الأحمر ، ومن هذه الثروات ركزت الطالبة على الأسماك والقشريات .

وتقع الدراسة في خمسة فصول عدا ملخص البحث في أوله ، وخاتمة للبحث تستعرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات التي رأتها الباحثة ضرورية لحل مشكلات وتطوير الثروة السمكية في المملكة .

وقد استعرض **الفصل الأول** طبيعة البحث وخطة الدراسة من حيث : مبررات القيام بالبحث ، منطقة الدراسة وأهميتها ، الدراسات السابقة ، أهداف البحث وفرضياته وأسلوب الدراسة ومصادرها .

أما **الفصل الثاني** فقد كان للخصائص الطبيعية والبشرية لمنطقة الدراسة لما لذلك من أثر على إنتاج واستهلاك الثروة السمكية ، وفي هذا الفصل تعرضت الباحثة للخصائص الجيوفيزيائية والاستراتيجرافية لكل من الخليج العربي والبحر الأحمر من حيث البناء الجيولوجي والرصيف القاري وقاع كل من الخليج العربي والبحر الأحمر ، كما تناولت بالدراسة أهم الخصائص الطبيعية للمياه الإقليمية من درجة حرارة المياه إلى درجة الملوحة ، بالإضافة إلى التيارات البحرية والمد والجزر والأمواج ، ومن ناحية الخصائص البشرية فقد استعرضت أوضاع السكان في المنطقة الشاطئية قبل ظهور البترول وبعده ، بالإضافة إلى تحديد حجم ومعدل نمو السكان والكثافة السكانية والنشاط الاقتصادي للسكان العاملين في ظهير تلك المناطق الشاطئية على الخليج العربي والبحر الأحمر .

وقد تطرق **الفصل الثالث** لدراسة البحر الإقليمي (المياه الإقليمية) للمملكة العربية السعودية ، فتعرض إلى تحديد البحر الإقليمي والمياه الداخلية طبقاً للمراسيم الملكية الصادرة بهذا الموضوع . كما تناولت بالدراسة وظائف البحر الإقليمي والمنطقة المتاخمة والرصيف القاري للمملكة والمنطقة الاقتصادية الخالصة ، كما تعرض الفصل أيضاً لأهمية المياه الإقليمية الاستراتيجية والاقتصادية في المملكة .

أما **الفصل الرابع** فهو عبارة عن دراسة تحليلية لحرفة صيد الأسماك في المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية ، حيث تتبعت الباحثة مواقع تجمعات الأسماك في منطقتي البحر الأحمر والخليج العربي طبقاً للتوزيع الجغرافي لمصائد الأسماك فيهما ، بالإضافة إلى تصنيف المصائد تبعاً لأنواعها ، وكذلك للأهمية الاقتصادية للأسماك وأنواعها ، بالإضافة إلى عوامل إنتاج الصيد السمكي في المملكة التي تتركز في القوى العاملة ومراكب وأجهزة الصيد ، ثم تعرضت لمدى تأثير طرق الصيد التقليدي والحديث على الإنتاج السمكي ، وكذلك برامج التنمية الفنية لصيد الأسماك في المملكة .

هذا وقد تناول **الفصل الخامس** الإنتاج وتصريف المحصول السمكي في المملكة من حيث تطوره وتوزيعه وكمية الأصناف السمكية المصادة فيها وتوزيع الأنواع المصادة أيضاً . ومن حيث التصريف ركزت الطالبة على الاستهلاك والتسويق وعلى تجارة الأسماك الخارجية ، ومن ثم على مدى إمكانية تطوير الإنتاج السمكي في المملكة .

وأخيراً توصلت إلى أهم المشكلات والمعوقات الأساسية في تنمية واستغلال الثروة السمكية في المياه الإقليمية في المملكة ، وتقدمت بالتوصيات المناسبة في هذا الصدد

مجلس التعاون لدول الخليج العربية

نواف آل سعود

عرض وتقديم : عبد الله الوشمي

آل سعود ، نواف بن مساعد / مجلس التعاون لدول الخليج العربية : دراسة قانونية سياسية في التنظيم الدولي الإقليمي ــ رسالة ماجستير ــ القاهرة : قسم العلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ، ١٩٨٨ م ، ٤٥٠ ص .

المناقشات والتعقيبات

تعقيب على موضوع

المكتبات المتخصصة

سامي الصقار
أستاذ في قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

اطلعت على العدد الرابع للسنة التاسعة من هذه المجلة، الصادر في ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ (نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٨٩ م)، وقد وجدته — كما كنت أتوقع دائماً — طافحاً بالأبحاث القيمة والمقالات المفيدة في الموضوعات التي دأبت المجلة على الاهتمام بها، ومن تلك الأبحاث بحث قيم بعنوان «المكتبات المتخصصة» لأحمد بدر أستاذ المكتبات والمعلومات في جامعة الملك عبد العزيز بجدة. لقد تضمن هذا البحث معلومات مفيدة تهم المتخصصين بعلم المكتبات، كما تهم جمهور المثقفين بصورة عامة. وقد عنّت لي وأنا أقرأ هذا البحث بعض الملاحظات التي رأيت من المفيد نشرها لفائدة القراء:

١ — ذكر الباحث (ص ٤٦٦) بين مكتبات العصور القديمة مكتبة جامعة «جوندي شاهبور» وقد كتب اسمها بالحروف اللاتينية هكذا (THE GONDI SHAHPOUR UNIVERSITY). وقد وقع في هذه العبارة خلل من ناحيتين:

الأولى هي أن الاسم الصحيح لهذه المؤسسة العلمية هو «جُنْدَيْسابور» وهو اسم المدينة في منطقة الأهواز، وقد ضبط اسمها بهذه الصورة ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (طبعة صادر، ج ٢ ص ١٧٠) وقد بناها سابور ملك الفرس وأسكنها الروم. وجاء ضبطها بالصورة نفسها في الموسوعة الإسلامية أيضاً.

والخلل الثاني هو أن تلك المؤسسة لا تمت بصلة إلى العصور القديمة التي تنتهي — حسب اصطلاح المؤرخين — في سنة ٣٧٥ م، عندما انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى شطرين؛ شرقي عاصمته القسطنطينية (استانبول الحالية)، وغربي عاصمته روما، وإنما هي من مؤسسات العصور الوسطى، كما هو معروف لدى المشتغلين بالتاريخ، لا سيما وأن الكاتب ذكر أن كتبها تعود إلى القرنين الخامس والسادس للميلاد، أي ضمن فترة العصور الوسطى، وقصة مدرسة جنديسابور يرويها المؤرخ حسن إبراهيم حسن في كتابه «تاريخ الإسلام» (الطبعة التاسعة ج ٢ ص ٣٤٥) فيقول: إن مدرسة الرها (وهي أورفة الحالية في تركيا) كانت من مراكز العلوم في الدولة البيزنطية، لكنها اضمحلت في أواخر القرن الخامس الميلادي بسبب قيام الخلافات المذهبية، وعند ذلك لجأ علماؤها — الذين طردوا — إلى بلاد فارس واحتموا ببلاط كسرى أنو شروان (٥٣١ — ٥٧٨ م) وكان قد رحب بفلاسفة المدرسة الأفلاطونية الحديثة الذين نفاهم الامبراطور البيزنطي جستنيان، وأسس في «جنديسابور» من أعمال خوزستان داراً للعلم قام فيها هؤلاء العلماء بتدريس الطب والفلسفة، وبقي أثرها في تلك البلاد حتى ظهرت الدولة العباسية. وهكذا فإن مدرسة «جنديسابور» الواقعة شرقي شط العرب قريباً من الحدود العراقية الحالية، تعود بالتحديد إلى القرن السادس الميلادي، ومن ثم لا علاقة لها بالعصور القديمة. ولعل من المفيد أن نذكر أن هذه المدرسة كان فيها عدد من العلماء السريان المتبحرين بالطب اليوناني، وعندما أسس الخليفة المنصور بغداد استعان ببعض أحفاد أولئك الأطباء فاستقدمهم إلى عاصمته، وكانت منهم نواة الدراسة الطبية العربية.

٢ — ذكر الكاتب في الصفحة (٤٦٦) أيضاً، وضمن إشارته إلى مكتبات العصور القديمة، وجود عدد ضخم من مخطوطات الرياضيات والتنجيم في مكتبة مرصد «ماراجه» في أذربيجان. وهنا أيضاً وقع خلل مماثل من ناحية الاسم ومن ناحية صحة التاريخ. فالاسم الصحيح للمرصد هو «مرصد مراغة أو رصد مراغة». ومراغة هذه مدينة إسلامية معروفة في شمال إيران الحالية (معجم البلدان، ج ٥ ص ٩٣). وليس هناك اسم مدينة باسم «ماراجه». أما بالنسبة للتاريخ فإن مكتبة هذا المرصد لا علاقة لها بالعصور القديمة، وإنما تم إنشاء المرصد والمكتبة عقب سقوط بغداد على أيدي المغول في سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م حيث قام نصير الدين الطوسي (المتوفى سنة ٦٧٢ هـ) وكان من مستشاري هولاكو المقربين، قام بإنشاء قبة ومرصد عظيم في مراغة، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة، وملأها بالكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها مايزيد على (٤٠٠) ألف كتاب (انظر: الكتبي، فوات الوفيات. طبعة إحسان عباس ج ٣ ص ٢٤٧). وقد نقل الطوسي عدداً من العلماء الذين سلموا من القتل وقد تم

أسرهم ، ومنهم عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي المؤرخ (المتوفى سنة ٧٢٣ هـ) وكان خازن كتب المدرسة المستنصرية ، حيث تولى خزانة كتب مرصد مراغة، أكثر من عشرة أعوام (انظر : فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٩ — ٣٢٠) . وهكذا فإن هذه المكتبة ليست من مكتبات العصور القديمة ، وإنما هي تعود إلى فترة العصور الوسطى .

٣ — تناول الكاتب (ص ٤٦٧) ضمن مكتبات العصور الوسطى «دار الحكمة في بغداد وبيت الحكمة في القاهرة ، وقال إنها لا يمكن أن تعتبر مكتبات متخصصة على الرغم من أن الكتب الدينية فيها كانت تغلب على غيرها من الكتب في المجالات العلمية الخ ...» والذي يهمني في هذا الصدد الوهم الذي وقع فيه الكاتب بالنسبة لدار الحكمة في بغداد (وصحة اسمها بيت الحكمة) ، إذ توهم أن الكتب الدينية هي الغالبة في مكتبتها ، ذلك أن بيت الحكمة في بغداد لم تكن لها علاقة بالعلوم الدينية لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما هي في الأساس مركز لترجمة التراث العلمي الأجنبي ولا سيما التراث اليوناني ، أنشأه الخلفاء العباسيون الأوائل لهذا الغرض ، ويرجح المؤرخ حسن إبراهيم حسن (تاريخ الإسلام — الطبعة التاسعة ج ؟ ص ٣٤٨) أن مؤسسها هو الخليفة الرشيد ، وأن الخليفة المأمون عمل من بعده على إمدادها بمختلف الكتب والمصنفات مما جعلها من أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي ، كما كان للعلماء الذين يختلفون إليها أكبر الأثر في تقدم الحركة العلمية في عهد العباسيين ونشر الثقافة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، على حد قول حسن إبراهيم حسن .

وهكذا فإن الكتب التي وجدت فيها هي من كتب الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية وما إليها . ولذلك فإن المستفيدين منها كانوا من طلبة تلك العلوم ، ومن ثم يمكن اعتبارها مكتبة متخصصة .

ولا حاجة بي إلى القول إن التحريف الذي طرأ على اسم كل من «جنديسابور ومراغة» يعود سببه إلى عدم رجوع الكتّاب والمؤلفين العرب إلى المصادر العربية ، ولا سيما المعاجم الجغرافية ، مثل «معجم البلدان» لياقوت ، للتعرف على الرسم الصحيح لأسماء المواضع ، ولكن مشكلتهم أنهم يقرأونها في المصنفات المكتوبة بلغات أوربية ، فيحاولون رسمها وفقاً لما وجدوه في تلك المصنفات فيقع التحريف ، وما أكثره في هذه الأيام ، ولعلني أعود إليه في مناسبة أخرى إن شاء الله .

• • •